جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

كلية الإنسانية اجتماعية
علوم إنسانية
تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

رقم : أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
حاجي خالد

يوم :06/07/2019

موقعة حصن العقاب 609هـ/1212م ودورها في انهيار الدولة الموحدية 668هـ/1269م .

لجنة المناقشة:

فريح لخميسي	أ. مح أ محمد خيضر بسكرة	رئيس
كربوعة سالم	أ. مح ب محمدخيضربسكرة	مقرر
بلدي علي	أ. مس أ محمدخيضربسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2018 - 2019

شكر وعرفان

لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى صاحب الفضل بعد الله سبحانه وتعالى المشرف على هذه الدراسة الأستاذ الدكتور كربوعه سالم الذي تابع مسيرة هذا البحث منذ كان برعما إلى غاية استقامته وتمامه .

كما لا يفوتنا أيضا ان نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في إخراج هذا البحث إلى النور ...جعل الله كل ذلك في ميزان حسناتهم.

قـــــائـــــمـــة المـخـتـصـرات

تر: ترجمة.

تق: تقديم.

تح: تحقيق.

وح: وضع حواشيه.

مج: المجلد.

ج: الجزء.

ط: الطبعة.

ر: رقم.

ع: العصر.

ق: القسم.

د ط: دون طبعة.

د ت: دون تاريخ.

ص: الصفحة.

ه: هجري.

م: ميلادي.

ت: توفي.

مقدمة

شهدت بلاد المغرب الإسلامي عامة والاندلس خاصة صراعا سياسيا عسكريا، بين المماليك الإسبانية و الدولة الموحدية ق 6ه / 12م ، كان طابعه طابعا دينيا، فنشطت الحملات الحربية بينهما، وقد كان لهذه المعارك دور في تحديد مصير النفوذ الموحدي في المنطقة ، فإذا كانت معركة الزلاقة أو الأرك و غيرها يبرز صداها في توطيد النفوذ السياسي ، فإن معركة العقاب و هي احدى أضخم المعارك التي حدثت في العصر الوسيط 609ه/1212م جاءت لتضع حدا لهذه السلطة ، ليس فقط في الأندلس بل في المغرب أيضا ، أو بعبارة أخرى بداية النهاية للدولة الموحدية ، و يعتبرها الأسبان بداية عهد جديد من تاريخ حروب الإسترداد.

دواعي إختيار الموضوع:

-يعد هذا الموضوع نقطة مهمة في تحديد مصير الدولة الموحدية في الأندلس و المغرب.

-إن الدراسات التاريخية تناولته بشكل عام ، و أهملت الجزئيات حسب اطلاعي .

-ارتأيت أن تكون دراستي حول هذه المعركة الحاسمة تحمل الكثير من العبر.

أهداف الدراسة:

-محاولة تسليط الضوء على هذه الحادثة التاريخية العظيمة .

-إظهار حالة المغرب الإسلامي و النفوذ الموحدي بعدهذه الموقعة.

-محاولة إثراء الرصيد المكتبي عن تلك الحادثة من تاريخ المغرب و الأندلس.

إشكالية الموضوع:

و لدراسة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية:

إلى أي مدى كان لموقعة العقاب دور في انهيار الدولة الموحدية؟.

و تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية هي كالتالي:

-كيف كانت الأوضاع قبيل موقعة العقاب؟.

-ماهي حيثيات موقعة العقاب؟.

-هل كانت هناك أسباب يمكن لها أن تكون وراء ذلك الانهزام المروع للموحدين في موقعة العقاب؟.

-فيما تمثلت أثارموقعة العقاب على بلاد المغرب و الأندلس؟.

خطة البحث:

و لمعالجة الإشكالية و الإجابة على التساؤلات اقترحنا خطة متمثلة في مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة.

ففي المدخل تطرقنا فيه عن الأوضاع قبيل العقاب .

ثم يليه الفصل الأول بعنوان حيثيات معركة العقاب 609ه/ 1212م تناولنا فيه التحضير للمعركة من الجانبين و وقائع المعركة ، و أنهيناه بعرض النتائج.

أما الفصل الثاني بعنوان آثار معركة العقاب ، فقد تناولنا فيه آثار هزيمة العقاب على الدولة الموحدية بالمغرب و الأندلس.

و في الأخير ختمت هذا البحث بعرض أهم ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة ، كإجابة على الإشكالية و التساؤلات الفرعية لها ، و اتبعنا الخاتمة بمجموعة من الملاحق تخدم الدراسة.

منهج الدراسة:

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة ، فقد كان منهجا وصفيا عن طريق وصف الأحداث السياسية و العرض المفصل للمعركة، مع اعتمادنا أيضا على المنهج التحليلي الاستنتاجي ، و ذلك عن طريق استقصاء الحوادث و الأسباب و تحليلها ، و محاولة الخروج بنتائج دقيقة وافية.

أهم المصادر و المراجع :

أ. **المصادر:**

-كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ل عبد الواحد المراكشي ، توفي في النصف الثاني من القرن 07ه/13م ، و يعد هذا المصدر من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية ، لأن صاحبه عاش في كنف الدولة الموحدية ، و عاصر الفترة التي نريد دراستها.

-كتاب "البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس و المغرب " ل ابن عذاري ، و يعتبر مصدرا مهما لكثير من الأحداث من أيام الدولة المرابطية إلى انهيار الدولة الموحدية ، ذلك أنه كان شاهدا على هذه الفترة.

-كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس" ل الفاسي ، توفي منتصف القرن 8ه /14م ، و تكمن فائدته في دراسة أحداث المعركة من بدايتها إلى نهايتها.

ب. كتب التراجم:

-كتاب " التكملة لكتاب الصلة " ل ابن الآبار ، توفي 586ه/1260م ، أفادنا هذا الكتاب في ترجمة بعض الشخصيات التي عاصرت الدولة الموحدية ، و التي كان لها دور كبير في صنع الأحداث ، ذلك أن ابن الآبار كان معاصرا لهذه الفترة.

ت. كتب الجغرافيا و الرحلات:

-كتاب " صفة جزيه الأندلس " ل الحميري ، توفي 866ه / 1381م ، وقد أفادنا كثيرا في التعريف بالمدن خاصة منها الأندلسية.

ث. المراجع:

-كتاب " دولة الإسلام في الأندلس" ، ق 2 عصر الموحدين، ل محمد عبد الله عنان ، يتميز الكتاب بأنه المرجع الوحيد الذي يتناوله الموضوع بشمولية ، و يحوي معلومات قيمة وافرة و التي قلما وجدت عند غيره ، بالإضافة إلى أنه قام بزيارة المنطقة.

-كتاب " الأندلس في عهد الرابطين و الموحدين " ج 2 ، ل يوسف أشباخ ، و قد أفادنا الكتاب كثيرا فيما يتعلق بالتاريخ السياسي للأندلس في عهد الموحدين ، و تتبعه بصفة موضوعية لمجريات المعركة .

-كتاب " علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس " ل هشام أبو رميلة ، تطرق هذا الكتاب للعلاقات السياسية للدول الموحدية مع الممالك النصرانية .

صعوبات البحث:

و مثل أي بحث علمي ، فقد واجهتنا بعض الصعوبات منها :

غياب المادة العلمية المصدرية التي تتناول أسباب و مراحل معركة حصن العقاب ، بالإضافة إلى ندرة دراسات متخصصة حول هذا الموضوع ، غير أن ذلك لم يثن من عزيمتنا في مواصلة البحث.

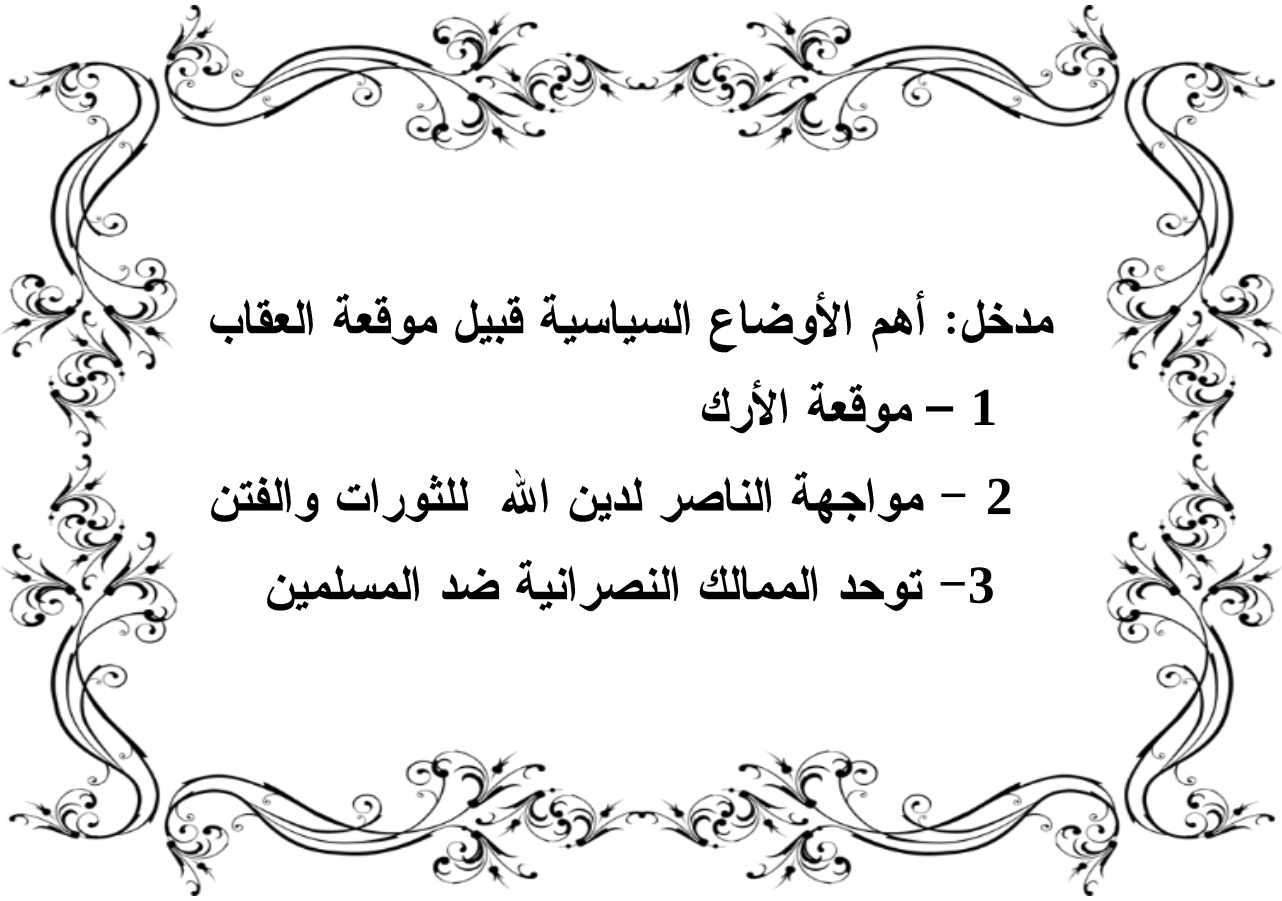

مدخل: أهم الأوضاع السياسية قبيل موقعة العقاب

1 – موقعة الأرك

2 – مواجهة الناصر لدين الله للثورات والفتن

3– توحد الممالك النصرانية ضد المسلمين

1- موقعة الأرك:

حين انتهت الهدنة المعقودة مع الفونس (الثامن) Alphonso ملك قشتالة سنة (590هـ /1194م)[1] – خرج طائفة من الإفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا [2] ، فوردت هذه الأنباء الشنيعة والأفعال الفظيعة على المنصور [3]، فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة وعساكر مكتبة ، واحتفل في ذلك [4].فاهتزت الجبال وتلك الجهات ونشط الناس وقوي حرصهم على الغزو لقرب بلاد الأندلس وتأتي المؤن بها والأقوات.[5]

يقول عبد الواحد المراكشي :" ...وتجهز أمير المؤمنين واخذ في العبور فعبر البحر في جمادى الآخرة من سنة 591هـ / 1195م بجموع عظيمة ونزل مدينة اشبيلية [6]،فلم يقدم بها إلا يسيرا ريثما اعترض الجند وقسم الأموال وخرج يقصد بلاد الروم..."[7] .

---

[1]- عبد الرحمان علي الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897 هـ(711-1492م) ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ،1981 ، ص 464.

[2]- المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، مج4، دار صادر ، بيروت ،1968 ، ص381.
وانظر : الغرناطي ، رفع الحجب المستورة ، ج1 ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، سنة 1344هـ ، ص 154.

[3]-بن عذارى ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب ، تح : بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ، مج 3 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،2013 ص 322.

[4]-المقري ، المصدر السابق ، ص 381.

[5]- بن عذارى ، المصدر السابق ، ص 322.

[6]- **اشبيلية** : مدينة كبيرة عظيمة و ليس بالأندلس اليوم اعظم منها تسمى حمص أيضا و بها قاعدة ملك الاندلس و سريره و عملها متصل بعمل " لبلة " وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا. (انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج1 ، دار صادر بيروت ، 1977 ص 195.)

[7]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، طبع بمدينة ليدن ، مطبعة بريل،1881، ص 205.

وكان جيشه يضم قبائل العرب وزناته ومصمودة وغمارة والمتطوعين من القبائل المغربية والأغزاز والرماة والموحدين والعبيد [1]، و الذي يقدر بستمائة ألف مقاتل ، وكان الجيش النظامي فيه مؤلفا من قوات الموحدين الخاصة ، ومن الفيالق الأندلسية [2]. ويذكر الفاسي أن الجيوش تتابع في أثره من جميع الأقطار و الوفود تقصد نحوه لغزو الكفار [3] .وانفق المنصور في اشبيلية أسبوعين وهو يستكمل أهباته ويضع خططه في أناة وروية [4] ، ثم رحل إلى قرطبة[5]ومنها صوب قلعة رباح[6].

وعندما علم ألفونسو الثامن Alphonso ملك قشتالة بذلك ، أسرع فأستنفر كل ملوك اسبانيا النصرانية واستصرخ البابوية ، فوافته حشود كبيرة يقودها فرسان ذوو خبرة وتجربة في الحروب [7] . . فإذا صح ما يقال من انه استطاع أن يحشد أكثر من مائة ألف مقاتل، فان هذه القوة لم تكن إزاء قوى اعدائه التي لا تحصى لتكفي لإحراز النصر عليهم[8] .

---

[1] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ج4 ، ط14، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1996 ، ص214.

[2]– بطرس البستاني ، معارك العرب في الأندلس، هنداوي ، القاهرة ، 2012 ، ص52.

[3]– الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس ، دار المنصور، الرباط ،1972 ،ص 222.

[4]–محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،العصر الثالث عصر الرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ، ق2 ، ط 2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1990، ص199.

[5]– **قرطبة** : هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، وكانت سريرا لملكها و قصبتها و بها كانت ملوك بني امية ، وبينها وبين البحر خمسة ايام. (انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج4 ، دار صادر ، بيروت ، 1977. ص324).

[6]–عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق،ص 485.

[7]–حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد،القاهرة،1997، ص 227.

[8]– يوسف أشباخ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر:محمد عبد الله عنان ،ج2 ،ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1996،ص 84.

اعتمد الفونسAlphonso-على الأخص- منظمات الفروسية المسيحية كفرسان الداوية ، وفرسان قلعة رباح[1] وغيرهم من جماعات الفروسية في مملكته ، بيد انه استعظم الخطب حين انتهى إليه خبر تعبية الموحدين ، فخشي سوء العاقبة إذا لقيهم بجيشه دون غيره، فكتب إلى نسيبيه ملك ليون و ملك النافار يدعوهما لترك الأحقاد ، والمبادرة إلى مساعدته ، فأجاباه إلى طلبه نزولا عند رغبة الشعب المتحمس [2]. يقول صاحب نهاية الأرب : "...وجمعت الفرنج قاصيها ودانيها واقبلوا إليه مجدين واثقين بالظفر لكثرتهم "[3]. ويقول الفاسي :" ... وقعد الفونسو الثامن Alphonsoاللعين، بجيوشه و جموعه ينتظره إزاء مدينة الأرك ... "[4].

وكان الخليفة المنصور يرمي في زحفه الرهيب إلى مساورة طليطلة[5]عاصمة قشتالة ، فبلغه أن الفونس الفونس الثامنAlphonsoحشد جيوشه بين قرطبة وقلعة رباح بالقرب من حصن الأرك [6] ، فغير خطته ، ودلف إلى لقائه حين يرابط بعساكره[7].

ولما وصل إلى قيد مسيرة يومين منه ، ضرب معسكره في يوم الخميس الثالث من شعبان سنة 591هـ (يوليو سنة 1195م)[8]،أمضى المنصور أياما يتداول وجهات النظر مع رجال جيشه حول

---

[1] **قلعةرباح** : هي من عمل جيان بين قرطبة و طليطلة . (انظر : الحميري،صفة جزيرة الأندلس،تح،ليفي بروفنسال،ط2 ، دار الجيل ، بيروت، 1988 ، ص 123).

[2]- بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 53.

[3]- النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،تح : عبد المجيد ترجيني ، ج24 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص183.

[4]- الفاسي ، المصدرالسابق ، ص ص222 223.

[5]-**طليطلة** : هي من اعظم بلاد اسبانيا قديما و حديثا ، مركزها في وسط اسبانيا ، و في جميع أدوارها كانت مدينة علم و صناعة . (انظر : شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الاخبار و الاثار الاندلسية ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 ، ص 252).

[6] - **الارك** : حصن منيع بمقربة من قلعة رباح . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص12).

[7]- بطرس البستاني ، المرجع السابق ، ص 52.

[8]- يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص 83.

لقاء العدو و يستشيرهم في امثل الطرق[1] ، واستمع الزعيم لرأي الجميع ، ثم التفت إلى زعماء الأندلس وطلب رأي أبي عبد الله بن صناديد[2] ، لما يعرف عنده من الحنكة وصدق النظر[3] .

في خطة شبيهة جدا بخطة موقعة الزلاقة [4] قسم أبو يوسف يعقوب المنصور الجيش إلى نصفين،فجعل جزءا في المقدمة،وأخفى الآخر خلف التلال و كان هو على رأسه [5] ،ثم جعل كبير وزرائه الشيخ ابايحيي ابن أبي حفص قائدا عاما على هؤلاء القواد و جيوشهم فأعطاه راية الخلافة [6] ، وقد ولي قيادة الأندلسيين لأبي عبد الله بن صناديد [7] فلما تراءى الجمعان اشتد خوف الموحدين وساءت ظنونهم لما رأوا ما كثرة عدوهم و أمير المؤمنين في ذلك كله لا مستند له إلا الدعاء[8] .

وفي 19 يوليو سنة 1195 ، الموافق ل 9 شعبان سنة 591 هـــ كانت موقعة الأرك الشهيرة ، وقد نظم جيش الموحدين الذي يقدر بستمائة الف مقاتل. [9]وحين كمل الحشد قال القائد العام للجند أن المنصور أمير المؤمنين يقول لكم :"اغفروا له– فان هذا موضع الغفران– وتغافروا فيما بينكم ، وطيبوا نفوسكم واخلصوا لله نياتكم ". [10] وقام أبو علي [11] القاضي ابن حجاج وخطب خطبة بليغة في التحريض على الجهاد وفضله [12].

---

[1]– محمد بن إبراهيم اباالخيل ، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين و الموحدين ، دار أصداء المجتمع ، السعودية ، 1998، ص 293.

[2]–علي محمد الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الإفريقي، ق 1 ،ط3، دار المعرفة ، بيروت ، 2009 ، ص 377 .

[3]– بطرس البستاني ، المرجع السابق ، ص53.

[4] -**موقعة الزلاقة** : وقعت أحداث هذه المعركة في مكان يدعى الزلاقة في رجب 479ه بقيادة يوسف بن تاشفين ينتصرون على الصليبيين في الاندلس . (انظر : نجاة سليم محمود محاسيس ، معجم المعارك التاريخية ، دار زهران ، عمان ، 2011 ، ص270).

[5]– راغب السر جاني ، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ،ج 1، مؤسسة اقرأ، القاهرة ، 2010 ، ص 591.

[6]–هشام ابورميله ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس ، دار الفرقان ، عمان ، 1984 ، ص262.

[7]– راغب السر جاني ، المرجع السابق ، ص 591.

[8]–عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ،ص 205.

[9]– يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص 85.

[10]– علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص379.

[11] - **أبوعلي** : هو الحسن بن حجاج بن يوسف الهوا ري واصله من بجاية كان بليغا فصيحا وتوفي بمدينة فاس سنة ثمان وتسعين و خمس مئة . (انظر : ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة،تح : بشار عواد معروف ، مج1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2011 ، ص 413).

[12]–بن عذارى ، المصدر السابق ، ص ص 324 325.

يقول الفاسي :" ...فعبأ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لأمراء القبائل ، لكل أمير راية تلجأ قبيلته إليها ويقفون عندها ، وعقد للمتطوعة راية خضراء ، وجعل عسكر الأندلسيين في ميمنته ، وجعل زناته والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في ميسرته ، وجعل المطوعة و الاغزاز والرماة في مقدمته ، وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاتة..."[1] . ولما تقدمت صفوف المسلمين المهاجمة ، إلى سفح التل الذي يحتله ملك قشتالة ، واندفعت إليه تحاول اقتحامه على اثر كلمات قائدها الملتهبة[2]، يقول هنا الفاسي: " " ... إذ تحرك من جيش العدو دمره الله تعالى عقدة كبيرة من سبعة ألاف فارس إلى ثمانية ألاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرد النظيف النضيد ، فدفعت نحو عسكر المسلمين ... حتى لطمت أطراف رماح المسلمين في صدور خيلهم أو كادت ، ثم تقهقروا قليلا ... فعلوا ذلك مرتين ، ثم تهيئوا للدفعة الثالثة ... فدفع النصارى على القلب الذي فيه أبو يحيا .... فقاتل رحمه الله قتالا شديدا ... حتى استشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتةو المطوعة وغيرهم ...." [3]. فمالوا على الميسرة فتزحزح قوم من المطوعة و أخلاط من السوقة و الرجرجة [4]، وعندئذ ترك المنصور ساقة الجيش ومشى منفردا بين الصفوف يشجع رجاله، و يحثهم على مهاجمة

[1]-الفاسي ، المصدر السابق ، ص 226.

[2]- يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص 86.

[3]-الفاسي ، المصدر السابق ، ص ص 226 227 .

[4]-بن عذارى ، المصدر السابق ، ص 325.

العدو ،فأشتد حماس المسلمين و غيرتهم، وحملوا على القشتاليين حملة عنيفة [1]، فانهزم العدو وركبهم بالسيف من ضحى يوم الأربعاء لتاسع شعبان إلى الزوال وانتهب محلة الروم وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفا ، واستشهد من المسلمين دون الخمسمائة ، وافلت اذفونشAlphonso واجتاز على طليطلة لا يعرج على شيء في عشرين فارسا ، وحصر المسلمون فلهم بحصن الأرك وكانوا خمسة ألاف فصالحوا بقدرهم من أساري المسلمين[2]. وحكي أن الذي حصل لبيت المال من دروع الإفرنج ستون ألفا ، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدة ، ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الأرك هذه، وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة[3].

وخرج أمير المؤمنين بنفسه حتى أتى قلعة رباح وقد انجلى عنها أهلها فدخلها وأمر بكنيستها فغيرت مسجدا فصلى فيها المسلمون واستولى على ما حول طليطلة من الحصون ثم رجع إلى مدينة اشبيلية[4].

---

[1]–عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية ، 1999 ، ص724.

[2]–الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، تح : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، ص 13 . راجع أيضا : صالح الاشتر ، معركة الارك 591هـ/1195م ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 1998، ص73و مايليها.

[3]– المقري ، المصدر السابق ، ص 382. وانظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،تح : عمر عبد السلام تدمري ، ج10 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،2012 ، ص134 . وانظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان وح : خليل المنصور،ج3 ، دارالكتب العلمية ، بيروت ،1997، ص364.

[4]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص206.

وأقام باشبيلية إلى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة خرج إلى غزوته الثانية وفتح قلعة رباح ووادي الحجارة[1]ومعاقل كثيرة، وحاصر طليطلة واحرق رباطاتها ونصب عليها المجانيق ثم ارتحل عنها إلى سلمنكة [2] فدخلها بالسيف وقتل رجالها ونسائها [3]، ثم عاد في السنة الثالثة أيضا وتوغل بلاد الروم ووصل إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك مسلمين قط ورجع إلى مدينة اشبيلية فأرسل الأذفونش Alphonso إليه لعنه الله يسأله المهادنة فهادنه إلى عشر سنين فعبر البحر بعد أن أصلح ورتب وقصد مدينة مراكش [4]، وكان عزم على أن لا يجيبهم إلى الصلح وان يداوم الغزو حتى يفنيهم[5].

وكانت وفاته في مراكش في ربيع الأول سنة 595ه/1199م ودفن بحاضرة تينمال[6]لصق تينمال[6]لصق أبيه وجده، و ولى بعده رحمه الله ابنه : محمد الناصر لدين الله[7].

---

[1] - **وادي الحجارة** : مدينة أندلسية قديمة تقع على نهر هنارس شمال شرقي مدريد . (انظر: محمد عنان ،الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1997 ، ص328).

[2]- **سلمنكة** : بلدة متوسطة واقعة على نهر طورمس . (انظر : شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص40).

[3]–ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية و تونس ، تونس ، 1286، ص 116 .

[4]–عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 206.

[5]–النويري ، المصدر السابق ، ص 184 . وأنظر : فاضل السريحي ، يوم الأرك ، مجلة المناهل ، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ، المغرب ، العدد 17 ، 1980، ص ص 210 211 .

[6] -**تينمال** : جبال بالمغرب بها قرى و مزارع وهي سرير ملك بني عبد المؤمن . (انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج 2 ، دار صادر، بيروت ، ص 69).

[7]–مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامه،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،1979،ص 160.

2- مواجهة الناصر للثورات والفتن :

ثار على الموحدين في مستهل عهد الناصر لدين الله رجل يدعى علو دان الغماري ولكن الناصر احل به الهزيمة ، ثم سار إلى فاس [1] فأتم سورها [2]، وثار بالسوس سنة 598ه/1202م ثائر من كزولة يعرف بأبي قفصة، فسرح الناصر إليه عساكر الموحدين فقصدوا جموعه وقتل[3].بالإضافة إلى ثائر يدعى عبد الرحيم بن عبد الرحمان ابن الفرس من طبقة العلماء بالأندلس ، ويعرف بالمهر [4]، فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل وسيق رأسه إلى مراكش فنصب بها وسكنت الفتنة [5].

وفي سنة 600ه/1203م ثار عليه رجل من سلالة الفاطميين في مصر اسمه محمد بن العاضد، بجبال ورغه ، فقبض عليه الخليفة وقتله ، وأمر بإحراق جثته ، فأحرقت أمام باب الشريعة من أبواب مدينة فاس ، فسمى هذا الباب باب محروق ، وهو احد الأبواب التي أمر الناصر بإقامتها في سور فاس [6].

---

[1] - **فاس** :مدينة مشهورة على برا لمغرب من بلاد البربر،وهي حاضرة البحر. (انظر : الحموي ، المصدر السابق ، مج 4 ، ص 230).

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق،ص218.

[3] –ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،تح:خليل شحادة وسهيل زكار ، ج6،دار الفكر، بيروت ،2000،ص ص 331 332.

[4] الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولتان المرابطية و الموحدية) ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج2 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1997 ، ص218.

[5] نفسه ، ص218.

[6] –عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 733. وللمزيد عن هذه الثورات أنظر: احمد عزاوي ، رسائل موحدية مجموعة جديدة ، ج2 ، ر2 ، جامعة ابن طفيل ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، القنيطرة ، 2001 ، ص 173 و ما يليها .

واتصل الخبر بالناصر بمراكش بحلول بن غانية بإفريقية ومادهم افريقية من الفتنة فرحل إليها سنة 601 ه / 1204م [1]، وبلغ ابن غانية خبر مجيئه فوجه ذخائره إلى المهدية [2] وكان الوالي عليها ابن عمه علي ابن الغازي [3]، وخرج من تونس إلى القيروان [4] ثم إلى قفصة[5] ، واجتمع إليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع ، وسار إلى حامة مطماطة[6].

ثم إلى جبل بني دمر فتحصن به [7]. ووصل الناصر إلى تونس ، ثم سار في أتباع ابن غانية إلى قفصه ثم إلى قابس [8]، ثم عاد إلى المهدية فعسكر عليها ، واتخذ الآلة لحصارها[9]، وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص لقتال ابن غانية في أربعة ألاف من الموحدين سنة 602ه/1205م فلقيه بجبل تاجرا من نواحي قابس فهزمه الشيخ أبو محمد وقتل أخاه جبارة بن إسحاق واخذ جميع محلته واستنقذ من يده جماعة من الموحدين من معتقلهم منهم السيد أبو زيد الذي كان واليا بتونس ودخل عليه ابن غانية بها[10].

---

[1] – الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تح: محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 2002 ، ص 17.

[2] - **المهدية** : وهي مدينة جليلة ، وهي بناء عبيد الله المهدي . (انظر : ألتيجاني ، رحلة ا لتجاني ، تق : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا وتونس ،1981 ، ص320).

[3] – النركشي ، المصدر السابق ، ص17.

[4] -**القيروان** : مصر الاقليم بهي عظيم حسن الخباز جيد اللحوم مع علم كثير و رخص عجيب . (انظر : المقدسي ، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح : شاكر لعيبي ، دار السويدي ، أبو ظبي ، 2003 ، ص 211).

[5] - **قفصة** : هي بلدة صغيرة في طرف افريقية من عمل الزاب الكبير بالجريد . (انظر : الحموي ، المصدر السابق ، مج 4 ، ص382).

[6] -**حامة مطماطة** : مدينة قديمة مسورة،وسكانها قوم من البربر يعرفون بمطاطة،وهي كثيرة التمروالزيتون والفواكه. (انظر: مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الأبصار،تح سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، ص 150).

[7] – الناصري ، المرجع السابق ، ص 215.

[8] -**قابس** : مدينة بين طرابلس و صفاقص ثم المهدية على ساحل البحر . (انظر : الحموي ، المصدر السابق ، مج4 ، ص289).

[9] –الناصري ، المرجع السابق ، ص215..

[10] –الزركشي ، المصدر السابق ، ص 17.

وأما الناصر فانه استمر محاصرا للمهدية وبها يومئذ علي بن الغاني [1] ، يقول الفاسي : ((... فحاصره الناصر مدة طويلة وأشهر عديدة ... فبايعه واسلم إليه البلد فأمنه الناصر وأكرمه إكراما عظيما...))[2].

وفي سنة 602ه/1205م ، ولى أمير المؤمنين الناصر الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر ابن أبي حفص جميع بلاد افريقية و ارتحل إلى المغرب ، فلما وصل وادي شلف خرج إليه يحيا الميورقي في جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة ، فتقاتلا قتالا شديدا ، انهزم فيه الميورقي هزيمة عظيمة ، وذلك يوم الأربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمائة (24 أكتوبر سنة 1209 م) [3]. وفي طريقه إلى عاصمة ملكه وجه أسطولا لفتح ميورقة[4]التي عجز المنصور قبله عن فتحها وقد توفق أسطول الناصر في إخضاع ميورقة ميورقة وقتل أميرها عبد الله بن إسحاق وكان قائد الموحدين في هذه الحملة أبا العلاء عم الناصر.[5]

3-توحد الممالك النصرانية ضد المسلمين :

نشبت الحرب بين قشتالة من جهة ، ونافار وليون من جهة أخرى ، ذلك لأن ملك قشتالة لم يتلق مساعدة من حلفائه السابقين خلال وقعة الأرك، وعاثت جيوش قشتالة في أراضي ليون التي لم يجدها استعانتها بجيوش الموحدين وحاولت نافار من جهتها أن تتقرب إلى

---

[1]- الناصري ، المرجع السابق ، ص 215.

[2]- الفاسي ، المصدر السابق ، ص ص 232 233.

[3] نفسه ، ص 233 .

[4] - **ميورقة** : جزيرة في البحر ألزقاقي. (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص188).

[5]- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000 ، ص 282.

الموحدين فعقدت معهم حلفا في أيام المنصور وكان التوقيع على المعاهدة في حفل فخم في باشبيلية حيث استقبل المنصور الملك سانشو Sancho مع حاشيته، وكان جواب قشتالة و أرغون على هذا الحلف الجديد ، أن زحفت جيوشها على نافار التي قاومت ببسالة ولم يتمكن خصومها من الاستيلاء على عاصمتها بنبلونة ، وإنما اخذوا بعض الحصون[1].

قام البابا أنوسان الثالث Inocent III بدور كبير في إقامة السلام والوئام بين الممالك الاسبانية النصرانية، فقد هدد بإصدار عقوبة النفي الكنسي ضد كل ملك وأمير نصراني يرفع السلاح في وجه جاره النصراني ، ثم كتب إلى أسقف طليطلة سنة 606ه/1209م يأمره بحث ملك قشتالة على غزو الأندلس وقتال المسلمين بروح صليبية ، فقامت الفرق العسكرية الدينية وقام القساوسة بقيادة أسقف طليطلة رودريغوخيمينث Rodrigo jimnithبغزوات إرهابية تخريبية في الأندلس[2].

لما اقترب اجل انتهاء الهدنة بين قشتالة والموحدين ، اخذ ملك قشتالة الفونسو الثامن يتأهب لغزو الأندلس[3]،وفي أوائل سنة 1209م ، خرج الفونسو الثامن Alphonso من قشتالة في قواته ، واحتشد فرسان قلعة رباح في قلعة شلبطرة[4]، وكانوا قد لجاوا إليها منذ انتزع الخليفة يعقوب المنصور قلعة رباح من أيديهم عقب معركة الأرك وسار الفونسو

[1]- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص282.

[2]- هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 276.

[3]-محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 284.

[4] -**شلبطرة** : هو حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح. (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص108).

Alphonsoصوب جيان[1]و بياسة[2]، فانتسف الحقول وخرب الضياع ، وقتل وسبى ، وعاث الفرسان في احواز اندوجر[3] واستولوا على عدة حصون ، و أصاب المسلمين من جراء تلك الغارات ، محن وخسائر فادحة[4].

ثم عاد إلى قشتالة ولقي ملكي نافار و أرغون، ووثق معهما عهود الصلح ، وحصل منهما على وعد بتأييده وإمداده بالجند حين الخطر محاربة العدو المشترك [5]، وفي العام التالي خرج الفونسو Alphonsoإلى الأندلس مرة أخرى ، وعاث في أراضي جيان و بياسة ، ووصل في عيثه إلى أراضي ولاية مرسية[6] .

[1] -**جيان** : مدينة بالأندلس بينها وبين " بياسة " ستون ميلا ، وهي كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة للحوم والعسل . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 70).

[2] -**بياسة** :على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر الى قرطبة . (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص57).

[3] -**اندوجر** : حصن يقع قرب قرطبة . (انظر : محمد عبده حتاملة ، موسوعة الديارالأندلسية ، مج1 ، عمان ، 1999 ، ص169).

[4] –محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص284.

[5] –يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص107.

[6] -**مرسية** : مدينة بالأندلس ، وهي قاعدة تدمير بناء الأمير عبد الرحمان بن الحكم . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص183،182).

الفصل الأول: حيثيات موقعة العقاب

المبحث الأول: التعبئة والسير نحوالموقعة

المبحث الثاني: وقائع الموقعة

المبحث الثالث: نتائج الموقعة

المبحث الأول: التعبئة والسير نحو الموقعة

لما وقف محمد الناصر على اعتداء النصارى المتكرر على الأندلس [1]. فأهمه ذلك وأقلقه و كتب إلى الشيخ أبي محمدعبدالواحد [2] بن أبي حفص صاحب إفريقية يستشيره في الغزو فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد[3].

وكان الناصر معجبا برأيه، مستبدا بأموره [4]،وفرق الأموال على القواد والأجناد، وكتب إلى جميع بلاد المغرب وإفريقية وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكافرين فأجابه خلق كثير، وألزم كل قبيلة من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الأمصار، وسارع الناس نحوه خفافا وثقالا من الآفاق والأقطا ر[5]،وكتب الناصر في نفس الوقت إلى ولاة أشبيلية وقرطبة بوجوب تجديد حشد الجند، وإعداد المؤن، وتمهيد السبل في جميع المناطق[6].

فلما تكاملت لديه الحشود وتوافت بحضرته الجنود خرج من مراكش في تاسع عشر شعبان سنة 607ه /1210م ، فانتهى إلى قصر المجاز فأقام به وشرع في إجازة الجيوش من أوائل شوال إلى أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة، فتلقاه هنالك قواد الأندلس وفقهائها ورؤسائها، وأقام

---

[1]–يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 107. وانظر: محمد منير الجنباز ، معارك إسلامية خالدة من بدر حتى غرو زبي ، ط 2، مكتبة التوبة ، الرياض ، 2008 ، ص 145.

[2]- **أبامحمدعبدالواحد**: احد العشرة من صحابة المهدي بن تومرت . (انظر : حسن إبراهيم حسن ، المرجع ا لسابق ، ص218).

–الناصري ، المرجع السابق ، ص 220.

[4]–نفسه ، ص220.

[5] الفاسي ، المصدر السابق ، ص234.

[6]– محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 285.

بطريف[1] ثلاثا ثم نهض إلى اشبيلية في أمم لا تحصى، وجيوش لا تستقصى قد ملأت السهل والوعر[2]، فوصلها يوم الاثنين منتصف ذي الحجة (آخر مايو) ونزل بقصور البحيرة الواقعة إزاء باب جهور،وتم استقرار الجيوش الموحدية بالحاضرة الأندلسية، وذلك في نهاية سنة 607ه (منتصف يونيه سنة 1211م)[3] . وهناك أخذت الجموع تتوافد عليه حتى أصبح جيشه يعادل جيش أبيه الذي كسب موقعة الأرك، ولكن بينما كان أبوه ذكيا حكيما، عرف كيف يستفيد من القوات التي كانت معه على خير وجه، عجز هذا الشاب عن ذلك[4].

حكى أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل، [5] فأدرك الناصر الإعجاب لما رآه من كثرة جنوده، فقسم الناس على خمس فرق، فجعل العرب فرقة، والمطوعة فرقة وكانوا مائة وستين ألفا مابين فارس وراجل، وقواد الأندلس وحشودها فرقة، والموحدين فرقة، وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية[6].

ويذكر صاحب الأنيس المطرب: ((... واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ووقع خوفه في قلوب ملوكهم، واخذوا في تحصين بلادهم وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم...)). [7]

وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو ووفد عليه منهم ملك بنبلونة مستسلما

---

[1] -**طريف** : هي على البحر الشامي في أول المجاز المسمى الزقاق (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 127).

[2]- الناصري ، المرجع السابق ، ص 220.

[3]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 286.

[4]- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 232.

[5]- الناصري ، المرجع السابق ، ص 220، وانظر: بسام العسلي، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، دار النفائس ، ص 158.

[6]- الفاسي ، المصدر السابق ، ص 234.

[7]-نفسه ، ص234.

خاضعا طالبا للصلح. [1] يقول صاحب الأنيس المطرب:((... فبعث رسوله إليه يستأذنه في القدوم بجملته عليه، فأذن له أمير المؤمنين في الوصول، وكتب إلى كل بلد من بلاد الأندلس هي على طريق هذا اللعين إذا مر بهم أن يضيفوه ثلاثة أيام، فإذا عزم على الرحيل في اليوم الرابع يحبسون بها عندهم من جنسه ألف فارس...))[2] .

سار الخليفة الناصر في نفس العام المذكور بجيوشه صوب مملكة قشتالة، فأخترق أراضي قرطبة وجيان وآبدة[3]وبياسة إلى أن بلغ الحدود[4]. ويبدو من أقوال صاحب روض القرطاس، أن أن الناصر كان يقصد السير إلى غزو قشتالة ولكن وزيره أبا سعيد بن جامع أقنعه بوجوب الاستيلاء أولا على قلعة شلبطرة نظرا لمناعتها، وأهمية موقعها، [5] يقول الحميري: ((... ثم نزل إلى حصني شلبطرة واللج فحاصرهما، وضيق عليهما، فملك حصن اللج أولا، ثم حصن شلبطرة...))[6] .

ويذكر صاحب الأنيس المطرب أنه نزل عليه وأدار به الجيوش وأخذ في قتاله ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ولم يقدر منه على شيء. [7] فيقال أنه أقام على ذلك الحصن حتى عشش الخطاف في خبائه وباض وأفرخ وأطار أفراخه، من طول مقامه، فأقام على ذلك

---

[1]–الناصري ، المرجع السابق ، ص 221.

[2]– الفاسي ، المصدر السابق ، ص 235.

[3] -**آبدة** :بينها و بين بياسة سبعة أميال،وهي مدينة صغيرة على مقربة من ا لنهرالكبير. (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص15).

[4]– هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 278.

[5]– محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 291.

[6]– الحميري ، المصدر السابق ، ص 137.

[7]– الفاسي ، المصدر السابق ، ص 236.

الحصن ثمانية أشهر، ودخل فصل الشتاء واشتد البرد وقلت العلو فات وفنيت أزواد الناس ونفذت نفقاتهم وكلت عزائمهم، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد وقنط الناس من المقام وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار [1]. وأرسل ألفونسو Alphonsoملك قشتالة ولده فرديناندFerdinandعلى رأس جيش نفذ إلى ولاية استرا مدورة محاولا أن يرغم الموحدين على رفع الحصار ، ولكن هذه المحاولة لم تفلح ، وفجع الملك بفقد ولده الذي أودت بصحته وحياته مشاق الحرب، وقيل في بعض الروايات إنه توفي مسموما بيد يهود مجريط [2]. ومازال الناصر يواصل محاصرة الحصن حتى استسلمت حاميته، وتغلب عليه، وعاد إلى اشبيلية ظافرا[3].

وكان ذلك في سنة 608ه/1211م ، حتى انتصف في العام الذي يليه في هذه الوقيعة، وكان الملك الناصر أعجب بفتح شلبطرة وكتب بذلك إلى الآفاق، وخفي عنه ما فرط الغيوب من خبر العقاب[4].

لقد فجر سقوط شلبطرة براكين الغضب النصراني في أوروبا، وتحرك الرهبان والقساوسة والملوك ليثيروا بذلاقتهم حماسة الشعوب النصرانية لكي تساهم في كفاح الصليب المقدس [5].

---

[1]-الفاسي ، المصدر السابق ، ص 237.

[2]- يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 108.

[3]- عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 735.

[4]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 137.

[5]- الصلابي ، المرجع السابق ، ص 398.

إذ يذكر يوسف أشباخ أن ملك قشتالة قد أرسل جرهارد Gerhardأسقف سقوبية [1] إلى البابا أنوسان الثالثIII Inocentليرجوه أن يرسل الصيحة إلى أمم أوروبا النصرانية، لكي تنظم حملة صليبية ضد المسلمين في الأندلس، وأرسل رذريك Rodrigo jimnithمطران طليطلة(ردريكالطليطي)[2] .

ويعتبر رودريغوخيمنث Rodrigo jimnithالمذكور من أشهر شخصيات العصر الوسيط في إسبانيا المسيحية، فلم يكن هذا الأسقف رجل دين وإدارة فحسب، بل كان أديبا ومؤرخا [3] .وعدة أخرى من الأحبار، إلى فرنسا وإلى الأمم الواقعة في شرقها ليثيروا بذلاقتهم حماسة الشعوب النصرانية من البرنيه إلى البحر الأسود، لكي تساهم في كفاح الصليب المقدس[4].

يقول هنا صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:((... وخرج الأدفونش Alphonsoلعنه الله إلى قاصية بلاد الروم مستنفرا من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم فاجتمعت له جموع عظيمة... حتى بلغ نفيره إلى القسطنطينية...))[5]

ثم عقد ملك قشتالة مؤخرا في مدينة قونقة [6] لتوحيد الجهود ضد المسلمين، فحضر المؤتمر إلى جانب ألفونسو الثامن Alphonsoبدرو الثانيII Pedro ملك أرغونة، أما بقية الملوك الأسبان

---

[1] - **سقوبية** : بالأندلس متداخلة العمران وفيها جم غفير . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص104).

[2] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 109.

[3] –عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 735.

[4] –يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 109.

[5] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، 235.

[6] - **قونقة** : مدينة بالأندلس من عمل شنت برية . (انظر : الحموي ، المصدر السابق ، مج4 ، ص415).

فقد بعثوا مندوبين عنهم، وانتهى المؤتمر بالإتفاق على الإتحاد والتضامن لقتال الموحدين وتقديم الجند والمال اللازم[1].

وقبل أن ينتهي عام 608ه/1211م ، اجتمعت في طليطلة عاصمة قشتالة حشود هائلة من الصليبيين وفي بداية عام 609ه/1212م ، عاد رودريغوخيمنثRodrigo jimnithوفي صحبته جموع كبيرة من الفرنسيين، وأنضم إليهم فرسان قلعة رباح وسانتياجو الإست بارية والداوية، وأجتمع القوا مس وفرسان قشتالة إلى الملك ألفونسو الثامنAlphonsoفي أكمل هيئة وسلاح[2] . ومن بين الفرسان القشتاليين قوامس أسرة دي لارا De lara ، ويرأسهم القومس دييجولوبث دي هاروDiego lopeth de haro ، ولوبي دياث دي هارو Lope death de haro ، وكان يرأس فرسان قلعة رباح جوميثراميريث JomethraMeryth، وتقدم فرسان سانتياجو بدروأرياسPedro arias ، ويرأس الإستباريةإبنجوتيروهرمنخلدو Guterohrmengaldo،[3] وكان الأساقفة يرأسون صفوف المحاربين من مختلف المدن ويتولون الإنفاق على حشودهم، وقدم فوق ذلك عدة من أحبار فرنسا يقود كل منهم جماعة من المحاربين و في مقدمتهم مطران أربونة[4]وأسقفا بوردو ونانت وغيرهم من أكابر رجال الدين[5].

---

[1]–هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 282.

[2]–عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 736.

[3]–نفسه ، ص 737.

[4] - **اربونة** : هي مدينة بالأندلس و ثغورها مما يلي بلاد الفرنجة. (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص15).

[5] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 294.

ولم يأت شهر مايو سنة 1212م حتى اجتمع في قشتالة من المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من جميع أنحاء أوروبا لمعاونة إسبانيا النصرانية، زهاء ألفين من البارونات مع حاشيتهم، وعشرة ألاف من الفرسان والمقاتلة، وخمسين ألفا من الرجالة، أو بعبارة أخرى اجتمع من هذه الوفود الصليبية المختلفة جيش ضخم يبلغ زهاء سبعين ألف مقاتل[1].

وفي أول يونيه في يوم عيد التثليث، قدم بدرو الثاني Pedro II ملك أراجون في جيشه الضخم، وأستقبله ملك قشتالة بمنتهى الحفاوة، وكان يصحبه في هذه الحملة معظم الأمراء التابعين ومشاهير الفرسان، وطائفة كبيرة من فرسان الداوية، وأخيرا قدمت الأمداد من ليون وجليقية[2]والبرتغال، وكانت القوات البرتغالية تتألف من عدد كبير من الفرسان والمشاة البارعين، يقودهم أمير برتغالي هو بيدرو Pedroثالث أبناء الملك سانشو الأول Sancho I ؛ وكانت القوات الليونية بقيادة سانشو فرناندیز SanchoFernandes أخي ملك ليون، ولم يحضر ملك ليون بنفسه إذ قامت بينه وبين ملك قشتالة خصومة جديدة من أجل بعض الأماكن على الحدود، أما ملك نافارا فلم يكن إستكمل أهبته بعد و كان قدومه منتظرا [3]. ولم يأتي شهر يونيه سنة 1212م، حتى بلغ عدد الجيوش الوافدة على قشتالة أكثر من عشرة آلاف فارس، ومائة ألف من الرجالة[4].

---

[1]–محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ص294.

[2] - **جليقية** : ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس . (انظر: الحموي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص157).

[3]– يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 110.

[4]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 294.

وفي روما أمر البابا أنوسان الثالث Inocent III بالصوم ثلاثة أيام، والاكتفاء بالخبز والماء التماسا لانتصار الجيوش النصرانية وأقيمت الصلوات العامة وعمد الأكليروس والرهبان والراهبات إلى ارتداء السواد والسير حفاة وسارت المراكب في الطرقات خاشعة متمهلة من كنيسة إلى أخرى و من دير إلى آخر وألقى البابا أنوسان الثالث Inocent III موعظة صليبية، طلب فيها إلى النصارى أن يتضرعوا إلى الله التماسا لنصر الأسبان[1].

وكان الموحدون من جانبهم يقومون بمثل هذه الاستعدادات إذ يذكر صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب أنه بعد رجوع أمير المؤمنين أبي عبد الله من هذا الفتح المتقدم الذكر إلى اشبيلية استنفر الناس من أقاصي البلاد فاجتمعت له جموع كثيفة وخرج من اشبيلية فسار حتى نزل مدينة جيان فأقام بها ينظر في أمره ويعبئ عساكره[2].

وفي 20 حريزان (يونيه)، تأهب الجيش النصراني للسير إلى لقاء المسلمين ونظمت القوات في ثلاثة جيوش حتى لا يصاب الجند أثناء السير بنقص في المؤن، وسار في الطليعة جيش القادمين من أوروبا وكان تعداده مابين ستين ومائة ألف محارب تحت قيادة إمرة القائد القشتالي (ديجو لوبيز دي هارو Diagolopeth de haro ويقود وحداته المختلفة مطران أربونة و مطران بوردو وأسقف نانت، وكان الجيش الثاني بقيادة بيدور الثاني Pedro II ، وهو مؤلف من الأراغونيين والقطا لونيين فقط مع فرسان الداوية، أما الجيش الثالث وهو أضخم الجيوش

[1]- الصلابي، المرجع السابق، ص 399.

[2]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235، 236.

الثلاثة و يتألف من جنود قشتالة ويقود وحداته كبير أساتذة جمعيات الفرسان الأمير الليونيسانشو فرناندیزSancho fernandes ، والأمير البرتغالي بيورو Bioro وردريكRodrego مطران طليطلة، وخمسة أساقفة أخر، وتقدر الرواية عدد الفرسان في هذا الجيش بثلاثين ألفا، ولكنها لم تحدثنا عن عدد المشاة لحشدهم الضخم الكبير[1].

وفي اليوم الخامس في بدء السير من طليطلة في الرابع والعشرين من حزيران (يونيه) 1212م، هاجم جنود النصارى حصن(مجلون)، وأبادوا جميع من فيه بعد ذلك ساروا إلى قلعة رباح[2]. وكانت حامية قلعة رباح تتألف من سبعين فارسا بقيادة أبي الحجاج يوسف بن قادس[3]. ضربت هذه الجيوش الحصار على المدينة، فكتب أبو الحجاج يوسف بن قادس، عامل قلعة رباح إلى الخليفة يستمده، ولكن رسائله كانت تقع بين يدي ابن جامع الوزير فيخفيها عن الخليفة[4]. يقول صاحب الأنيس المطرب:((... وكان ذلك غشا منه لأمير المؤمنين محمد الناصر ولجميع المسلمين...))[5] . فلما طال الحصار على المدينة، ورأى ابن قادس استحالة المقاومة مع فناء الأقوات وقلة السلاح، ويئس من إمداد الناصر له بالعدة والأقوات، وخاف على سكان

[1]-الصلابي، المرجع السابق، ص 399، 400.
[2]-نفسه، ص400.
[3]- هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 286.
[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 738.
[5]- الفاسي، المصدر السابق، ص 237.

المدينة، صالح ألفونسو Alphonsoعلى تسليم الحصن له على أن يخرج المسلمين أمنين على أنفسهم[1].

واتفق على أن يغادر الفرسان المسلمون القلعة دون سلاح، ومعهم خمسة وثلاثون من الخيل [2] وكان افتتاح قلعة رباح مثار التنابذ والخلاف بين القشتاليين و حلفائهم الوافدين، ذلك لأن الوافدين الصلبيين، رأوا في إفلات المسلمين من القلعة أحرار أحياء عملا لا مبرر له، ولا يتفق مع أغراض الحرب الصليبية، وثانيا لأن ألفونسو Alphonsoوجد في القلعة رباح مقادير وافرة من المؤن قسمها بالتساوي بين جند الوافدين وزملائهم المحاربين الأصليين،ولكن سرت الإشاعة بين الجند الوافدين أن ملك قشتالة قد عثر بالقلعة على تحف وذخائر كثيرة أستأثر بها لنفسه[3]. ومن ثم فقد أبدت طوائف كثيرة من الجند الوافدين تبرمها وسخطها، واحتج كثير منهم بأنهم لا يحتملون جو إسبانيا الحار وأنهم وفوا بعهودهم في مقاتلة المسلمين في مجلون وقلعة رباح، وأبدوا عزمهم على الرجوع إلى بلادهم ، وأيدهم في ذلك مطران بوردو أعظم أحبارهم [4]. ولم يبق من أولئك المحاربين سوى أرنولد Arnold أسقف أربونة والكونت نيوبالدبلاسكون New baldplascon، وهو إسباني المولد، وكانا قد أتيا إلى إسبانيا بنحو مائة وخمسين فارسا من لانجدوك وبواتو وغادر الباقون وهم زهاء خمسين ألف مقاتل الجيش الإسباني صوب جبال

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ص738.
[2]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 297.
[3]-نفسه ، ص297.
[4]-نفسه، ص297.

البرنيه، غاضبين حاقدين، وخشي الأسبان عواقب اعتدائهم ونهبهم فأغلقوا في وجههم جميع المدن[1].

يقول صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:((... فرجع عن الأدفنش Alphonsoلعنه الله بهذا السبب من الروم جموع كثيرة حيث منعهم من قتل المسلمين الذين كانوا بالقلعة الذكورة وقالوا إنما جئت بنا لتفتتح بنا البلاد وتمنعنا من الغزو وقتل المسلمين مالنا في صحبتك...))[2] .

وسار النصارى إلى لقاء المسلمين بعزم أقوى وأذكى شجاعتهم استلائهم على حصن الارك، وهو المكان الذي لقي فيه ملك قشتالة قبل ذلك بسبعة عشر عاما هزيمته الشنعاء، وأذكى شجاعتهم قدوم سانشو Sancho ملك نافار، وقد اشتهروا بالبراعة في الحرب والشجاعة في القتال[3].

وعلى إثر ذلك سار الملوك الثلاثة المتحالفون إلى مدينة شلبطرة، وهي القلعة التي افتتحها سلطان الموحدين في العام السابق بعد حصار طويل، وعرض الملوك هنا جيشا لم تخرج إسبانيا النصرانية مثله من قبل؛ بيد أنهم لم يقفوا بشلبطرة لمناعتها واتقاءا لحصار لا طائل منه واخترقوا في الثاني عشر من يونيه ممر مورادال في جبال سيارامورينا (جبل الشارات) لكي يلقوا العدو في ناحيتها الأخرى[4].

---

[1]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 114.

[2]- عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق، ص 236.

[3]-الصلابي، المرجع السابق، ص 401.

[4]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 115.

وكان محمد الناصر قد عمل إلى ذلك الحين على اجتناب المعركة بالرغم من كثرة جموعه خشية بأس المحاربين الصلبيين في الجيش الاسباني ، ذلك لان شهرة الفرسان الفرنج كانت قد سارت من المشرق إلى المغرب، ولكنه لما وقف على رحيل أولئك المحاربين، أخذ يسعى إلى لقاء العدو ، مؤملا أن ينزل بالنصارى الأسبان هزيمة كالتي أنزلها بهم أبوه في موقعة الأرك[1].

عندما عاد أبو حجاج يوسف بن قادس إلى الناصر لدين الله، وعندما علم منه أنه قد ترك قلعة رباح وسلمها بالمؤن والسلاح إلى النصارى، أشار عليه وزير السوء أبو سعيد ابن جامع بقتله؛ بتهمة التقاعس عن حماية القلعة، ولم يتردد الناصر في تنفيذ هذا القتل بحق القائد المجاهد أبي الحجاج يوسف بن قادس بالإضافة إلى صهره [2]، إذ يذكر صاحب الأنيس المطرب أنه أمر عليهما بالرماح فقتلا في الحين، فجمد الناس عند قتلهما وحقدوا على محمد الناصر و فسدت نيات قواد الأندلس، ثم خرج الوزير ابن جامع إلى مخيم الساقة فأمر بإحضار قوات الأندلس، فأحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا من جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم[3].

وعلى إثر سقوط قلعة رباح، غادر محمد الناصر مع جيشه الرئيسي مدينة جيان، وسار إلى ضفة نهر الوادي الكبير اليمني نحو بياسة، واحتلت سريات من خيرة جنده ممرات جبل الشارات المؤدية إلى آبدة وبياسة [4]. ومنها ممر(لوسا) الوعر، الذي تستطيع قوة صغيرة

---

[1]-يوسف اشباخ، المرجع السابق ، ص115.

[2]-راغب السرجاني، المرجع السابق ، ص 612.

[3]- الفاسي، المصدر السابق، ص 238.

[4]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 115.

باحتلاله أن تمنع جيشا كبيرا من جوازه، ثم نزلت الجيوش الموحدية في البسيط الواقع تجاه هذا الممر وهو يقع اليوم أمام الطرف الغربي لقرية سانتا إلينا وتسميه رسالة الغزو الرسمية ((بالمرشة)) واعتزم الخليفة الناصر أن يصمد في هذا المكان للقاء النصارى[1] .

وكان النصارى بعد احتلالهم بسيط مورادال الواقع فوق الجبل، قد استطاعوا أن ينتزعوا قلعة كسترو فيرال الإسلامية وهي التي تسمى أحيانا بحصن العقاب وكانت بها حامية موحدية صغيرة ولكنهم شعروا مع ذلك بحرج موقفهم في ذلك المكان نظرا لوعورته، ونقص وسائل التموين والمياه فيه، وكان لابد لهم بأي حال أن يعبروا جبل الشارات إلى الناحية الأخرى، وكان ذلك متعذرا عليهم نظرا لاحتلال الموحدين لسائر ممراته بقوات كافية، ولاسيما ممر لوسا الواقع جنوب غربي الحصن ، وهو الذي يفضي إلى سهول تولوسا ، والذي لا يمكن لجيش عظيم بأسره اقتحامه[2].

وبينما كان ملك قشتالة يصر على رفض أي حركة ارتداد ـ لأنه كان يأبى أن ينسب النصر إلى الأعداء في حين أنه لم يشتبك معه بعد ـ إذ تقدم راعي من رعاة هذا المكان ووعد بإرشاد الجيش إلى طريق يقع في مرتفع آخر ويمكن سلوكه دون أن يفطن العدو ،و ينحدر الجيش منه إلى سهل آبدة دون أن يتمكن العدو من إعاقته[3]

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 301.

[2]-نفسه ، ص 306.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 116.

فسار معه القائدان لوبث دي هارو Lope diath de haro، و غرسية روميرو Garcia Romeroلمعاينة هذا الطريق، ولما تحقق من صحة كل ما قاله الراعي، بادر الجيش النصراني في نفس اليوم وهو يوم السبت 14 يوليو بالسير إلى ذلك المرتفع الجديد، واحتلوا بسيطه وهو البسيط الذي يطلق عليه اليوم ((مائدة الملك)) [1] . وحصنوا ما حوله، و بقيت بقية الجيش النصراني مرابطة من ورائه، وأعتبر هذا الراعي المرشد منقذا أرسله الله. ولم يخف أمر هذه الحركة التي قام بها الجيش النصراني على الموحدين، وقد وقفوا في الحال على مكان عدوهم الجديد، وحاولت فرقة من الفرسان الموحدين عبثا أن تنتزع هذا المرتفع الجديد من أيدي النصارى[2].

وفي اليوم التالي نظم محمد الناصر جيشه لخوض المعركة، ولكن الملوك النصارى آثروا الاعتصام بموقعهم المنيع، ولم يسمحوا إلا لبعض الفرسان البواسل بالالتحام مع العدو في مبارزات ثنائية ولم يرد النصارى أن يكدروا صفو الأحد بأعمال الحرب الدموية، بل إرجاؤها إلى اليوم التالي[3].

المبحث الثاني: وقائع المعركة

قام ملوك الأسبان في صباح 16 تموز(يوليه) بترتيب جندهم لخوض المعركة، فرابط بعضهم على سفح الجبل ، والبعض الآخر فوق الربى، تزعم ألفونسو ملك قشتالة قلب الجيش مع

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 306.

[2]-نفسه، ص 308.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 117.

إحتفاضه بنوع من الإشراف على الجيش كله، وكان القلب يضم أربعة فرق، تتألف الفرقة الأولى من سكان الجبال القشتالية، ويقودها(ديجولويز) Diagolopeth[1] ، وتتألف الثانية من فرسان قلعة رباح وشنت ياقب [2]والإستبارية والداوية وبعض جند الحدود القشتالية، ويقودها الكونت جونزالونونيزدي لارا Gonzalo nunez de lara ، والثالثة تتألف من جند وفرسان من قشتالة القديمة واشتوريش [3]وبسكونيه ويقودها الكونت ردريكدیازكاميروسRidriquediazcameros، وتتألف الرابعة من الجند الاحتياطي من طليطلة وبعض قوات ليون، ويقودهما الملك نفسه، وكان يرافق القوات الاحتياطية، فضلا عن المطران رد ريك الطليطلي Rodrigo مؤرخ هذه الموقعة، عدة أساقفة من قشتالة وليون مع جندهم[4].

وكان يقود الجناح الأيمن سانشو ملك نافار الباسل، مؤلفا من فرسانه ومن جند سريا وآبلة[5]وسقوبية ومدينة سالم[6]، وكذلك من الفرسان الفرنسيين الذين أتى بهم أرنولد مطران أربونة، وجند جليقية والبرتغال وعلى رأسهم الأمير البرتغالي[7].

---

[1]- الصلابي ، المرجع السابق ، ص 402.

[2] - **شنتياقب** : مدينة تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية . (انظر : محمد عبده حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية ، المرجع السابق ،ج1 ، ص 622) .

[3] - **اشتوريش** : منطقة في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية ومنتهاها في جليقية . (انظر: محمد عبده حتاملة ، المرجع السابق ، ص91).

[4]- يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ص 117، 118.

[5] -**ابلة** :مدينة صغيرة تقع في شمال غربي مدريد.(انظ ر: محمد عبد الله عنان الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، المرجع السابق ص326).

[6] - **مدينة سالم**: تقع شمال مدريد. (انظر : محمد عبده حتاملة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص518).

[7]-يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص118.

أما الجناح الأيسر فكان ينقسم أيضا إلى أربع فرق، ويتألف كله من قوات أراغون ما عدا بعض جند المشاة القشتاليين، ويقوده الملك بيدرو Pedro ومن حوله الأحبار والعظماء والأرجونيون[1].

أما جيش الموحدين، فقد قسمه أبو عبد الله محمد الناصر تجاه جيش النصارى في سهل "تولوزا" وفق الأوضاع الموحدية إلى خمس فرق [2]. تتألف الفرقة الأمامية من القوات المتطوعة من مختلف الطوائف وتتألف قوات القلب و القوات الاحتياطية من جند الموحدين، وهم أغلبية الجند النظامية، وتتألف الميمنة من القوات الأندلسية والميسرة من قوات البربر من مختلف القبائل[3].

وضرب محمد الناصر قبته الفخمة الحمراء في وسط الصفوف وارتبط أمامها جواده المسرج، وقعد في داخلها على درقته إيذانا باقتراب المعركة، واحتاط بالقبة حرس الأمير مشاة وفرسانا، من الموحدين والعبيد، وشهر الجند في اتجاه العدو حرابهم فكانت سدا منيعا دون اختراقه الموت، ومدت في الوقت نفسه حول القبة نصف دائرة من السلاسل الحديدية القوية حتى أصبح سلطان المسلمين وكأنه يجلس في حصن منيع [4]. إذ يقول صاحب الأنيس المطرب:((... فضربت القبة الحمراء المعدة لقتال الأعداء على رأس ربوة، وأتى الناصر حتى نزل بها وقعد على درقته وفرسه أمامه، ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية كلهم بالسلاح والعدة، ووقفت

[1]- يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص118.
[2]- الصلابي، المرجع السابق ، ص 402.
[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 308.
[4]- يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ص 118.

الساقات و البنود والطبول أمام العبيد مع الوزير أبي سعيد أبن جامع...)) [1] وكان بوسع النصارى أن يروا من مواقعهم العالية، جموع المسلمين التي لا تحصى، وفي قلبها قبة أمير المؤمنين الحمراء[2].

ولما تمت استعدادات المعركة، خرج سلطان الموحدين من قبته وهو يرتدي عباءة سوداء من مخلفات جده عبد المؤمن، وقد رفع المصحف الشريف بإحدى يديه، وشهر سيفه بالأخرى بينما كان قرع الطبول الضخمة يدوي بشدة في ساحة المعركة[3].

بدأت المراسلات بينه وبين ألفونسو الثامنAlphonsoللتشاور في أمر الصلح، ووجد ألفونسو أن ذلك خير للفريقين، وكان الناصر يعلم أنه بحاجة لتوطيد سلطانه في دولته، وتم الصلح ولكن على غدر مبيت من الصليبين[4]. إذ بدأ الهجوم المباغت في الصباح الباكر من يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة 609ه /1212، يقول الحميري:((... ومخادعة النصارى لباقي الأجناد بإشهار الصلح و العمل على ضده، حتى خالطوهم على غفلة...))[5] .

يقول صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:((... ودهم المسلمين وهم على غير أهبة...))[6] . فهبطت طلائعهم مسرعة من المرتفع الذي تحتله الجيوش النصرانية في البسيط

---

[1]- الفاسي ، المصدر السابق ، ص 238 ، 239.

[2]-محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص310.

[3]- الصلابي، المرجع السابق ، ص 403.

[4]- طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري ، الكويت ، 2005 ، ص 367.

[5]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 138.

[6]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 236.

((مائدة الملك)) إلى السهل الأسفل الذي يحتله الجيش الموحدي، والذي يشغل بسيطا شاسعا، يقع عند الطرف الغربي من بلدة((سانتا إلينا)) ، وانقضت على مقدمة الجيش الموحدي، فلقيتهم صفوف المتطوعة بقوة وثبات، وأقتتل الفريقان بشدة حتى بدأ النصارى في التراجع، فأدركهم الأمداد، وعادوا إلى الثبات تعززهم فرق الفرسان التي صعب على المتطوعة الموحدية اختراقها، وهجم في نفس الوقت جناحا الجيش النصراني على جناحي الجيش الموحدي واحتدمت بين الجيشين معركة هائلة عامة[1].

يقول ابن عياش(كاتب الخليفة):((... ثم إن الفئتين قضي بتلاقيهما في الموضع المعروف بالمرشة، فكان بين المسلمين وبين أعدائهم يوم ذو كواكب نازعت فيه المواكب المواكب ، وموقف نرجو أن يراه الله لنا وأن يقبل فيه عملنا، اشتد فيه الكفاح،وأرخصت فيه الأرواح الفرسان الدينية، فاستطاعوا أن يردوا جموع العدو وان يمزقوها، واستشهد ألوف من المسلمين في سبيل دينهم....)) [2] وكان هجوم المتطوعة المسلمين شديدا في البداية، ولكنهم لم يستطيعوا اختراق صفوف الفرسان القشتاليين[3].

يقول صاحب الأنيس المطرب: ((...فأقبلت إليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر، فتلقاهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعين، وكانوا مئة وستين ألفا فقاموا في صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبرا جميلا واستشهد

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 311.
[2]- بن عذاري، المصدر السابق، ص 379.
[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 119.

المتطوعة عن آخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقواد الأندلس ينظرون إليهم لم يتحرك منهم أحد...))[1] .

ولكن القشتاليين حينما عمدوا إلى مطاردة المتطوعة المسلمين، وتقدموا بذلك ظافرين، من قلب الجيش الإسلامي حيث حشدت صفوة الجند؛لقوا أشد مقاومة، وسرعان ما اضطروا إلى مغادرة مراكزهم الأمامية، وارتدوا فارين وتابعهم الفرسان القشتاليون في فرارهم [2]، ومن جهة أخرى فإن قوات الميمنة والميسرة الموحدية استطاعت بعد قتال عنيف أن ترد جناحي الجيش النصراني[3].

ولما رأى ملك قشتالة من الربي تطور المعركة على هذا النحو السيئ، أراد أن يسير بنفسه على رأس الجنود الليونيين والطليطليين، وهم جماعة مختارة كانت تؤلف القوة الاحتياطية، وأن يقتحم الميدان ليحاول محاولة اليأس الأخيرة؛ وكانت كلماته التي قالها لمطران طليطلة وهي ((إن الساعة قد حانت لنلقى الموت المجيد)) تدل على أنه لم يكن يؤمل النصر بعد، ولكن اعتراضات المطران و القوامس ردت ألفونسو Alfhonso عن أن يخوض بنفسه أعظم الأخطار[4]. وأرسلت في الوقت نفسه قوات من أشجع الجنود لإمداد الجيش المرتد، وسار الأحبار أنفسهم على رأس الجند إلى قلب المعمعة، وهم يرفعون أعلاما عليها صورة المسيح

[1]- الفاسي، المصدر السابق، ص 239.
[2]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 119.
[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 311.
[4]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 119.

والعذراء، و يثيرون بذلك أعظم الحماسة في نفوس الجند [1]. وتبعه في نفس الوقت ملكا أراجون ونافار كل في قواتة، نحو جناحي الجيش الموحدي، وهجمت القوات النصرانية كلها في وقت واحد، بمنتهى العنف والشدة[2] .

و بينما فوارس قشتالة يصكون القلب، والقلب ثابت لا يتحلحل، إذا الجناح الأيمن يلتوي فجأة وينهزم الأندلسيون تاركين رفاقهم؛ وكانوا ـ كما علمنا ـ ناقمين على الموحدين يضمرون لهم الشر، فلم يقاتلوا قتالهم المعهود في المعارك التي يصطلونها متحمسين[3] .

وما كادت الميمنة تتعطل حتى مست الميسرة على أثرها فتقصف جناح البربر، وبقي القلب عاريا من الجانبين يدافع الإسبانيين ويصابرهم، وهؤلاء قد ازدادو حمية وإقداما بعد تحطيم الجناحين، فصرعوا القلب الجر يء و أوغلوا في أوساطه يقرعون دائرة السلاسل، فجرت أمامها أنهار من الدماء، وتكدست حولها جثث القتلى تلالا، الموحدون في القلب مخرقة صفوفهم، يستميتون مقاومة ودفاعا[4] .

ومن ورائهم الحرس الأسود شاهرا رماحه، من وراء السلاسل الحديدية الضخمة، وكان الخليفة الناصر قد أدرك حقيقة الموقف، فنهض من مجلسه وجلس أمام خبائه على درقته، وهو

---

[1]- يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ص119.

[2]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 312.

[3]-بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 63.

[4]- نفسه ، ص63.

يحث جنوده على الاستبسال [1]. واستطاع النصارى أخيرا أن يخترقوا قلب الجيش الموحدي إلى دائرة الحرس الأسود [2]. يقول صاحب الأنيس المطرب: ((... وركبهم الروم بالسيف حتى وصلوا إلى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم، فوجدوها كالبناء المرصوص، فلم يستطيعوا دخولها، فردوا أكفال الخيل المدرعة إلى رماح العبيد وهي مصوبة إليهم فدخلوا فيها...))[3].

وكان أول من دخلها منهم الكونت ألبارونونيز دي لارا Baronunes de lara على رأس كتيبة من الفرسان القشتاليين، وفي يده علم قشتالة الأبيض، ودخلها في نفس الوقت ملكا أراجون ونافار كل من ناحيته، وبذلك مزق الجيش الموحدي من كل ناحية، وكثر القتل فيه كثرة مروعة[4].

ولبث محمد الناصر يذكي حماسة حرسه حتى آخر لحظة؛ ولما رأى الهزيمة حلت بجيشه، ووقف على موت ولده الأكبر الذي قتل في المعركة وهو يقاتل قتال الأبطال، لم يرد فيها يبدو أن يعيش بعد، [5] ويذكر صاحب الأنيس المطرب أن الناصر قاعد على ورقته أمام خبائه يقول صدق الرحمان، كذب الشيطان[6] .

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 312.

[2]-نفسه، ص312.

[3]- الفاسي، المصدر الدرسابق، ص 239.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 312.

[5]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 120.

[6]- الفاسي، المصدر السابق، ص 239.

وهو في مكانه لا يتزحزح حتى كادت الروم أن تصل إليه، وقتل حوله من عبيد الدائرة ما يزيد على عشرة آلاف عبد، فاقبل إليه أعرابي على فرس أنثى فقال له إلى متى قعودك يا أمير المؤمنين؟ فقد نفذ حكم الله وتم مراده وفني المسلمون، فحينئذ قام إلى جواد سابق كان أمامه ليركبه، فنزل الأعرابي عن الفرس التي كان عليها وقال له اركب هذه الحرة فانهالا ترضى بعار، فلعل الله عز و جل أن يسلمك عليها، فإن في سلامتك الخير كله، فركبها [1]. وكان أمر أبا بكر بن عبد الله بن أبي حفص بالوقوف تحت الراية، و حملت الروم فقصدت الراية ضنا منها أن الناصر عندها ، فوضعت السيف فيمن واجهها [2]. وغادر ميدان الحرب مسرعا مع نفر من أصدقائه المخلصين، واتجه صوب بياسة، ولكنه لم يقف بها، بل سار منها توا إلى اشبيلية[3].

يقول الحميري: ((... فأخذ المسلمون في فرار ما سمع بمثله، وكان ذلك في العقاب بين جيان و قلعة رباح، في منتصف صفر من سنة 609ه كما ذكرناه، وكانت شنيعة، وفر الناصر لا يلوى على شيء حتى وصل أشبيلية، وتبعهم العدو حتى حال بينهم الليل ...)) [4] .ونادى منادي ألفونسو الثامنAlfhonso أن لا أسر إلا القتل، ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره، فلم يأسر العدو في هذه الوقعة أحدا من المسلمين[5].

---

[1]- الفاسي، المصدر السابق ، ص239.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص 138.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 120.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص 138.

[5]-الفاسي، المصدر السابق، ص 239.

وقبيل مغيب الشمس، كان الملوك النصارى، والمطران والأساقفة، وجزء كبير من الجيش النصراني، قد دخلوا محلة الجيش الموحدي واستقروا بها، و أضحى الجيش الموحدي العظيم الذي كان بها منذ ساعات قلائل فقط، أثرا بعد عين [1]. يقول إبن خلدون: ((... ثم رجعوا إلى الأندلس بعد الكائنة للإغارة على بلاد المسلمين، فلقيهم السيد أبو زكريا إبن أبي حفص بن عبد المؤمن قريبا من اشبيلية فهزمهم، وأنتعش المسلمون بها...))[2] .

المبحث الثالث: نتائج المعركة

تعرف هذه الموقعة التي أحز فيها النصارى هذا النصر الباهر، وكانت ضربة قاضية لسيادة الإفريقيين في إسبانيا، في الرواية الإسبانية بموقعة نافاس دي تولوزا أو موقعة آبدة، ولكنها تعرف في الرواية الإسلامية بموقعة العقاب [3] ،من مفردها عقبة وذلك فيما يرجح لوقوعها بين الربى والتلال المانعة، وليس بمعنى المعاقبة على الذنب، وإن كان بعض الكتاب والشعراء قد نسبوا إليها مثل هذا المعنى، في معرض التلويح بغضب الله وعقابه للموحدين لأنهم حادوا عن جادته وبغوا وتجبروا واعتمدوا على كثرتهم ولم يعتمدوا على عونه[4].

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 313.
[2] -إبن خلدون، المصدر السابق، ص 336.
[3]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 120.
[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 314.

ينفرد صاحب الروض القرطاس إلى جانب تسميتها بموقعة العقاب بتسميتها بموقعة" حصن العقاب" أو " حصن العقبان" [1]، وهو باسمه الإسباني حصن فرال أو كاسترو فرال الواقع بقمة جبل الشارات، والذي استولى عليه القشتاليون قبيل المعركة ثم تركوه ليعبروا الجبل من الناحية الأخرى التي أرشد عنها الراعي[2]. ويضع المؤرخون المسلمون تاريخها في يوم 15 صفر سنة 609ه، الموافق لـــــــ 16 يوليه سنة 1212م، ويعتبرونه من أسود أيام تاريخهم[3]، يقول ابن عياش ((... لكن أراد الله أن يمحص المؤمنين ويبلوا فيه الكافرين، كانت عاقبة اليوم على الخصوص لأهل الصلبان والعاقبة المطلقة هي لأهل الإسلام والإيمان)) [4] . ويذكر صاحب الأنيس المطرب بأنه ذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ولم تنصر لهم راية بها[5].

ومن المسلم أن خسائر المسلمين في معركة العقاب كانت فادحة جدا، والروايات الإسلامية تجمع كلها على أن الجيش الموحدي، قد هلك معظمه بيد أنها تذهب أحيانا إلى تقديرات لا يستسيغها العقل[6]. ومن ذلك ما يقوله صاحب روض القرطاس: ((... ولم ينج منهم إلا الواحد الواحد في الألف...)) [7] . فإذا ذكرنا أنه يقدر جموع الجيش الموحدي بأكثر من نصف مليون، فمعنى ذلك أنه لم ينج من الموحدين في المعركة سوى خمسمائة جندي، وهذا منتهى الإغراق [8].

---

[1]-الفاسي، المصدر السابق، ص 238.

[2]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 314.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 120.

[4]- بن عذارى، المصدر السابق، ص 379.

[5]-الفاسي، المصدر السابق، ص 240.

[6]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 314.

[7]- الفاسي، المصدر السابق، ص 239.

الإغراق[1]. ثم هو من جهة أخرى يقول لنا بأن سبب هذه الكثرة الفادحة من القتلى، يرجع إلى أن ملك قشتالة أمر أن ينادي في جيشه بأن لا أسر إلا القتل، ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره [2]. ويصف صاحب الحلل الموشية الموقعة " بالهزيمة العظمى" التي فني فيها أهل المغرب والأندلس[3].

ولكن المراكشي وهو مؤرخ معاصر يقول لنا في نوع من الاعتدال، إنه قتل من الموحدين خلق كثير[4] ،ويتابعه في هذا الوصف صاحب الروض المعطار، ويقول لنا إنه قد هلك في المعركة جملة من الأعيان والطلبة، منهم أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص، وعلي بن الغاني الميورقي[5]. وسقط كذلك في المعركة عدة من أكابر العلماء والحفاظ، منهم أحمد بن هارون بن عاث النفزي، وإسحاق بن إبراهيم المجابري، ومحمد بن حسن الأنصاري المعروف بابن صاحب الصلاة، ومحمد ابن إبراهيم الحضرمي، وأيوب بن عبد الله بن عمر الفهري، والشاعر الزاهد تاشفين بن محمد المكتب وغيرهم[6].

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 314.
[2]- الفاسي، المصدر السابق، ص 239.
[3]-مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 161.
[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 236.
[5]- الحميري، المصدر السابق، ص 138.
[6]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 314.

ويقول صاحب نفح الطيب: ((... ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الألف فيما قيل، وهذه الوقعة هي الطامة على الأندلس بل و المغرب جميعا...)) [1] .بيد أنه مما يلفت النظر حقا أن الرواية النصرانية مع ما يؤثر عنها من المبالغة في مثل هذه المواطن، تقدم إلينا عن خسائر الموحدين في الموقعة ، أرقاما يطبعها نوع من الاعتدال، بكونها تقل كثيرا عما تقدمه إلينا الرواية الإسلامية، بيد أنها من جهة أخرى تبالغ في التقليل من خسائر النصارى[2].

فيقدرها ردريك الطليطليRodrego بمائتي ألف، والملك ألفونسو Alfhonso بمائة وخمسة وثمانين ألف فارس، وعدد لا يحصى من المشاة (وذلك وفقا لأقوال بعض حشم السلطان محمد الذين أسروا فيما بعد)، قتل منهم أثناء الموقعة نحو مائة ألف فقط ، وهلك القسم الأعظم أثناء الفرار، ويقدر المطران أرنولد Arnold خسائر المسلمين خلال الموقعة بستين ألفا فقط ، ويقول إنه من الممكن أن يكون قد هلك منهم أكثر من ذلك أثناء الفرار، وقدرت الأميرة القشتالية برنجارياBernagriaفي خطابها إلى أختها الملكة بلانكا Blanca ملكة فرنسا، قتل المسلمين بخمسة وثمانين ألفا منهم خمسة عشر ألف امرأة قتلن بعد الموقعة[3].

بيد أن الروايات النصرانية تقدم إلينا في نفس الوقت عن خسائر النصارى في المعركة أرقاما لا يمكن أن يصدقها العقل، ومن الغريب أن شهود العيان الذين تقدم ذكرهم هم الذين يقدمون هذه

[1]- المقري، المصدر السابق، ص 383.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 315.

[3]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 121، 122.

الأرقام[1]. ذلك أن الملك ألفونسو Alphonsoوالمطران ردريك Rodrego يؤكدان أنه لم يقتل من جانب النصارى سوى خمسة وعشرين، ويقدر مطران أربونة خسائر النصارى بخمسين، وتقدرهم برنجاريا Bernagria بمائتين، وتقول الملكة بلانكا Blancaفي رسالتها إلى أميرة شمبانيا أن قتلى النصارى بلغوا أربعين في الهجمة الأولى [2] . وهذا صعب التصديق؛ لأن الحرب في مرحلتها الأولى كانت دائرة على الإسبانيين، ثم إن اقتحام السلاسل ما تم لهم إلا بعد تضحيات جليلة وبلاء كبير، فغير معقول أن تكون خسارتهم لا تستحق الذكر كما يزعم الرواة الإسبانيون[3].

بيد أنها تبدو ضئيلة إذا قيست بخسائر أعدائهم؛ لأن فشل العساكر الإسلامية لم يقع على صورة عادية مألوفة ، فقد تراجعت صفوفهم وتمزقت أشتاتا قبل أن تمنى بالانكسار، فنالها من التقتيل في ذعرها وتبددها شيء عظيم، وحقت عليها الهزيمة مع أن قواتها تبلغ ضعفي قوات المسيحيين، وجيش الموحدين النظامي لا يفوقه جيش في بسالته وتدريبه[4].

ويقدم إلينا الراهب البريكوس Bricosالذي عاش قريبا من الموقعة ووعى أخبارها أحسن تفسير لهذا الرقم الضئيل لقتلى النصارى، فيقول إنه هلك في الموقعة من المسلمين مائة ألف،

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 315.
[2]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 122.
[3]-بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 64.
[4]-نفسه ، ص64.

ولكن هلك من النصارى في نفس الوقت عدد كبير، وإنه حينما انتهت الموقعة بالنصر، لم يهلك من النصارى في مطاردة المسلمين سوى نحو ثلاثين مقاتلا[1].

واستولى النصارى في محلة الجيوش الموحدية على مقادير وافرة من الغنائم من العتاد والسلاح والخيام والذهب والفضة، والنقود الذهبية والبسط والآنية الثمينة والثياب والأقمشة الفخمة، وكذلك على مقادير عظيمة من المؤن، و على ألوف مؤلفة من دواب الجمل، فكانت من أعظم الغنائم التي ظفر بها النصارى[2].

فلا غرو أن يجعل النصارى ظفرهم مستمدا من الله؛ فتنشأ عندهم أسطورة دينية يثبتها بعض المؤرخين، تقول بأنه ظهر في السماء قبيل المعركة صليب ساطع النور ! وتحتفل طليطلة كل سنة في 16 حزيران بعيد ((انتصار الصليب))؛ مع أن المراجع الوثيقة لا تذكر هذه المعجزة ، ولا ذكرها الفونس الثامن Alphonsoفي روايته لأخبار المعركة[3].

إن هزيمة العقاب قد نشأت:

1- لأن الناصر كان ضعيف الشخصية أمام وزيره ابن جامع الأخرق[4].

---

[1]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 122.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 316.

[3]-بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 64.

[4]- إبراهيم حركات، المرجع السابق ، ص 284.

2- لضعف الجيش الإسلامي بعد ملازمته لحصار شلبطرة مدة ثمانية أشهر وتعرضه لأقسى عوامل الطبيعة ونقص المؤن[1].

3- قتل القائد الأندلسي المشهور أبي الحجاج يوسف بن قادس[2].

4- اغترار الناصر بكثرة عدد قواته[3].

5- الافتقار لوجود قيادة عسكرية حازمة في جيش الموحدين، يقابل ذلك كثرة المشايخ والمستشارين الذين ربما كانوا يحسنون التكلم في الدين و الفقه، ولكن ليس في المسائل العسكرية[4].

6- تنظيم الجيش وتقسيمه الخاطئ في أرض الموقعة[5].

7- لأن عطاء جيش الموحدين تأخر كثيرا، وكانوا قد اعتادوا تسلمه في أوقات منتظمة[6].

يقول صاحب الروض المعطار : ((... وقد أمسكت أرزاقهم، وقتر عليهم...)) [7] .

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق ، ص284.

[2]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 615.

[3]- طارق السويدان، المرجع السابق، ص 369.

[4]-نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تق: أحمد ابن سوده، ج2، دار الأمير، بيروت، 1995، ص 398. وأنظر: حمزة بوحدايد، معركة العقاب 609ه/ 1212م ماوراءأسباب الهزيمة ،04 اذار/ مارس 2016.

[5]-راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 615.

[6]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 285.

[7]- الحميري، المصدر السابق، ص 137.

8- إصرار ملك قشتالة على الانتقام من هزيمة الأرك وأخذ بكافة الأسباب والتي تعين على تحقيق النصر الحاسم، فعمل على توحيد الجبهة الداخلية وطلب إمدادات من البابا ومن ملوك أوروبا وجعل الحرب مقدسة من أجل العقيدة[1].

9- الثورات التي حدثت في المغرب مع بني غانية جعلت الموحدين ينفقون فيها نفائس أموالهم ويقدمون خيرة رجالهم[2].

10- يذكر ابن خلدون أن ابن أذفونش قد ناظر ابن عمه اليهوج صاحب ليون في أن يوالي الناصر ويجر الهزيمة على المسلمين ففعل ذلك[3].

[1]- الصلابي، المرجع السابق، ص 406.

[2]- نفسه ، ص406.

[3]-ابن خلدون، المصدر السابق، ص 336. وللمزيد أنظر: عمر راكة، علاقات الدولة الموحدية بالامارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010- 2011، ص 108 وما بعدها. وأنظر أيضا: بوقره ربح، الصراع الموحدي النصراني في الأندلس(541ه-609ه/1146م-1212م) ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ القرون الوسطى، إشراف عبد العزيز شاكي، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017-2018، ص 49 وما بعدها.

الفصل الثاني: آثار موقعة العقاب

المبحث الأول : آثار موقعة العقاب على الأندلس

المبحث الثاني: آثار موقعة العقاب على المغرب

المبحث الأول: آثار معركة العقاب على الأندلس

1-1- نهاية سلطة الموحدين وظهور زعامات انفصالية بالأندلس:

يذكر محمد عبد الله عنان أن الخليفة الناصر لدين الله، بعد أن فر من ميدان المعركة في آخر لحظة، سار إلى جيان ثم غادرها مسرعا إلى اشبيلية فوصلها في أيام قلائل، في أواخر شهر صفر سنة 609ه/ 1212م ، ووجه منها كتابه بالاعتذار عن الكارثة إلى قواعد المغرب والأندلس [1]. يقول صاحب الروض المعطار : ((... ولما انتهى الناصر إلى اشبيلية انس البلاد بخطاب كتبه إليهم بزخرفه الكاذب...)) [2] .

ولبث مقيما باشبيلية حتى شهر رمضان من هذا العام، وهو لا يحرك ساكنا ولا يبالي بأمر ثم عبر البحر إلى العدوة، قافلا إلى حضرة مراكش [3]،وتوفي يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر شعبان من سنة 610ه / 1213م و دفن يوم الخميس صلى عليه خاصة الحشم[4].

وأول خلفاء الموحدين الضعاف المستنصر بالله أبو يعقوب بن محمد الناصر الذي بويع بالخلافة وعمره 16 سنة، وتوفي في سنة 620ه/1223 م ، وفي عهده انبعثت الثورات والفتن، وكثر الخارجون عليه في أنحاء البلاد [5]. واجتمع الناس على تقديم عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن، وفي عهده تفرق أمر الموحدين، وازدادت مطامعهم في الخلافة،

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 324.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص 138.

[3]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 324.

[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 237.

[5]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 740.

فأستقل أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بالأندلس، وتلقب بالعادل وأيده بعض أعيان الموحدين، فخلعوا عبد الواحد، وقتلوه بعد أشهر من ولايته[1].

ولم تمض أشهر حتى صرع العادل، وجلس الفتى يحيى المعتصم على كرسي الخلافة مكانه سنة 624ه/ 1227م واضطرب أمر الخلافة فكل واحد من بني عبد المؤمن يريدها لنفسه، حتى قام أبو العلي إدريس بن المنصور بالمطالبة بأحقيته في الأندلس، وكانت الأندلس في حالة يرثى لها، فأحضر أبو العلي هذا معه مددا من جند النصارى القشتاليين أمده بهم ملك قشتالة، و أجتاز البحر إلى المغرب ليقاتل ابن أخيه يحيى المعتصم، ويصبح هو الخليفة وذلك في أوائل 626ه/ 1229 م [2].

1 2 حركة أبي جميل زيان:

كان أبو جميل زيان وقتئذ وزير السيد أبي زيد والي بلنسية، وكبير بطانته ومدبر أمره[3] . ثار أبو جميل زيان ببلدة آبدة واعتصم بها فخشي والي بلنسية الموحدي السيد أبو زيد عبد الرحمان عواقب الانتفاض على الموحدين فسار إلى ملك أرغونة مستنجدا. فانتهز الفرصة أبو جميل زيان واحتل بلنسية, ودعا للعباسيين[4].

يقول صاحب أعمال الأعلام: ((... بادر الرئيس أبو جميل ببلنسية من مستقره يومئذ بمدينة آبدة؛ فدخلها يوم الاثنين السادس والعشرين بصفر سنة 626ه/ 1229م ؛ وأخذ

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص740.
[2]- طارق السويدان، المرجع السابق، ص 374.
[3]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 394.
[4]- هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص 222.

البيعة لنفسه أول ربيع الأول من السنة، داعيا للعباسي ببغداد، ثم دخلت دانية في بيعته فاتسع عمله ... وتملك في رجب في هذه السنة حصن قربنيرة، ودخلت جنجالة [1]في بيعته، فضخم ملكه، و اشتهر جهاده...))[2] .

1-3- حركة ابن الأحمر:

أعلن ابن نصر ثورته في عام 629ه / 1232م في حصن أرجونه حيث موطن أسرته، استعان ابن نصر في ثورته بأقربائه من بني نصر و بأصهاره من بني أشقيلولة، فأعلنت بعض البلاد الولاء والطاعة لابن نصر ودخلت إلى طاعته وادي أش [3] وبسطه[4]وشريش[5] وجيان وقرطبة وقرمونة[6]. تظاهرة أول أمره بطاعة الملوك بالعدوة وإفريقية فخطب لهم زمانا يسيرا، كما دعا للخليفة العباسي المستنصر حاذيا حذو سميه ابن هود، ثم نزع عن ذلك كله[7]. وتنازع ابن الأحمر وابن هود رئاسة الأندلس، وتجاذبا حبل الملك بها، ثم استقر قدم ابن الأحمر في الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره[8].

---

[1]- **-جنجالة** : حصن بالأندلس في شمال مرسية . (انظر:الحميري ،المصدر السابق ، ص67).

[2]- ابن الخطيب، أعمال الاعلام ، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 272.

[3]**-وادي أش** :مدينةبالأندلس قريبة من غرناطة. (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص192).

[4] **-بسطة** :مدينة بالأندلس بالقرب من وادي أش . (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص44).

[5]**-شريش** : من كور شذونة بالأندلس وهي على مقربة من البحر. (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص 102).

[6]- هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص 232.

[7]-محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عمان- الأردن، 2000، ص 562.

[8]- الناصري، المرجع السابق، ص 236. وأنظر: عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7ه/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران- السانيا- ، 2012- 2013م، ص 37.

وهو الذي أمر بزوال اسم المهدي من السكة وغيرها، ومن الخطبة، و أزال اسمه من جميع رسوم الموحدين، مما كان العمل به في سائر دولتهم [1]. وبينما كان المأمون يحكم المغرب بيد من حديد، ويرد أنصار خصومه بعد أن هزمهم غير مرة إلى أعماق جبال الأطلس، إذا بمعظم أراضي الأندلس يخرج عن قبضة الموحدين[2].

1-4-حركة ابن هود:

وفي منطقة مرسية قام أبو عبد الله محمد بن يوسف سليل بني هود أمراء سرقسطة[3]السابقين، وسرعان ما ألفى العربي النبيل في بغض عرب الأندلس للمغاربة الموحدين أكبر عضد، كذلك لم يكن ينقصه تعضيد الفرسان النصارى الذين كانوا ـ كما كان السيد الكنبطور ـ يخرجون للحرب والفتوح، واستولى محمد بن هود على مرسية دون كبير مشقة[4]، يقول صاحب أعمال الأعلام :((وكان خروجه من مرسية تاسع رجب سنة 625ه/1228، وظهوره بالصخور [5]من جهاتها في نفر يسير من الأجناد [6]. ونادى بنفسه أميرا لها باسم المتوكل على الله، وحاول أن يكسب الأندلسيين إلى جانبه بسرعة، وأن يؤلبهم على قتال الموحدين فأذاع أنه يسعى إلى تحريرهم من نير المغاربة المرهق، وأنه لن يفرض عليهم سوى الضرائب الشرعية ، وأن يعمل على إقامة شرائع الإسلام الحقة،

---

[1]-مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 164.

[2]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 160.

[3]-**سرقسطة** : تقع في شرق الأندلس . (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص 96).

[4]-يوسف اشباخ، المرجع السابق ، ص160.

[5]- **الصخور**: حصن صغير على نهر مرسية. (انظر: محمد عبده حتاملة ، المرجع السابق ، ج 1، ص636).

[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 278.

و أعلن المتوكل أن الموحدين كفار، وأمر أن يحتفل بتطهير المساجد التي دنسها فقهائهم، وارتدى السواد بهذه المناسبة، وأمر الزعماء بارتدائه[1].

ولم يمض سوى قليل، حتى سارعت- بعد مرسية- معظم بقاع الأندلس إلى طاعة ابن هود، ومبايعته، ومنها مدن جيان وقرطبة وماردة [2]وبطليوس[3]؛ وزاد في قوته وسلطانه ما أعلنه من أنه عدو لدود للنصارى، وأن الخليفة العباسي قد أخر إمارته على الأندلس[4].

اتسعت دولة ابن نصر على إثر وفاة ابن هود سنة 635ه/ 1238م، فقد ثار أهل غرناطة بزعامة ابن أبي خالد على عقبة بن يحيى المغيلي واليهم من قبل ابن هود، وبعثوا بيعتهم إلى ابن نصر مع رجلين من كبار أعيانهم هما أبو بكر الكاتب وأبو جعفر التيزولي، ثم استدعى أهل غرناطة ابن نصر إليهم، فسار بقواته ودخل غرناطة عند المساء أواخر رمضان من سنة 635ه/ مارس 1238م[5].

سار ابن نصر بقواته في نفس العام المذكور، فاستولى على مدينة المرية من صاحبها أبي عبد الله محمد بن الرميمي، وفي العام التالي 636ه/1239م أعلنت مدينة مالقة[6]الولاء مالقة[6]الولاء والطاعة لابن نصر[7].

2-1- تسارع حركة الاسترداد وسقوط كبريات المدن والحواضر الأندلسية:

[1]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 160، 161.

[2]-**ماردة**:مدينة بجوفي قرطبة، منحرفة إلى الغرب قليلا. (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص175).

[3]-**بطليوس** : من إقليم ماردة . (انظر:الحميري ، المصدر السابق ، ص46).

[4]-يوسف اشباخ، المرجع السابق ، ص161.

[5]- هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص 232، 233.

[6]-**مالقة** : مدينة على شاطئ البحر المتوسط . (انظر : الحميري ، المصدر السابق، ص177).

[7]-هشام ابو رميلة ، المرجع السابق ،ص233.

كانت تبعات سقوط السلطة الموحدية بالأندلس ثقيلة الحمل ومزرية على المسلمين فبمجرد خروج الأندلس عن سيطرة الدولة، ظهرت زعامات محلية منقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهلت كثيرا مهمة النصارى الذين كانوا يتوجهون وبسرعة نحو الإتحاد مدفوعين بالشعور القومي والنزعة الصليبية المشتركة ضد المسلمين ، وهكذا أصبحت الممالك النصرانية بعد حالة التشتت والفرقة والحروب الأهلية ثلاث ممالك فقط هي قشتالة، أرغون والبرتغال[1].

ساهمت هذه الظروف بالإضافة إلى انحلال سيادة الموحدين في التمهيد لمشروع الاسترداد الذي راود المسحيين منذ عقود من الزمن، وأصبحت الفرصة سانحة لتسديد ضربات قاتلة للبقية الباقية من المسلمين في الأندلس[2].

2-2- سقوط بياسة و أبدة:

حاول ألفونسو الثامن Alfhonso ملك قشتالة، على أثر ظفره العظيم في موقعة العقاب أن يجتني ثمار نصره باقتطاع ما يستطاع من الأراضي الإسلامية، فاستولى في أيام قلائل على معظم الحصون الإسلامية في تلك الناحية، و كان من بينها حصن فرال(حصن العقاب)، الذي كان قد أخلاه قبل الموقعة، وبلج، وبانيوس، وتولوسا[3].

---

[1]-صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014م، ص 161.

[2]-وليد بزوجي، المرجع السابق ، ص161.

[3]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 323.

ثم سار إلى مدينتي بياسة، وآبدة، اللتين لا تبعدان عن مسرح المعركة سوى بضع مراحل، وكانت بياسة قد غادرها معظم أهلها، ولكن كان بها كثير من الجرحى والضعاف والفارين، فأحرق دورها، وخرب مسجدها الجامع، وقتل معظم من وجده بها، وأخذ بعضهم أسرى[1].

ثم سار إلى مدينة آبدة، القريبة منها، وكانت تموج بأهلها، وبمن وفد عليهم من أهل بياسة، ومن الفارين، ولكنها كانت في حالة دفاع واهبة، وقد امتنعت وراء أسوارها الحصينة، فحاصرها ألفونسو Alfhonso ثلاثة عشر يوما، و صمد المسلمون، ولحقت بالنصارى بعض الخسائر، ثم عرض المسلمون في النهاية أن يدفعوا فدية قدرها ألف ألف دينار على أن تترك المدينة حرة، وأن يتمتعوا بدينهم وشعائرهم، فقبل ألفونسو Alfhonso وزميلاه ملكا أراجون و نافارا هذا العرض[2].

ولكن الأحبار الظمئين إلى دماء المسلمين، طالبوا أن تسلم المدينة دون قيد ولا شرط، فشاء ضعف الملوك أن ينقضوا العهد المقطوع، منتحلين لذلك عذرا، هو أن المسلمين بعد أن فتحوا أبواب المدينة للنصارى، لم يؤدوا الفدية المفروضة عليهم في الحال، فقتل من المسلمين في آبدة زهاء ستين ألفا، وسبى مثل هذا القدر، وهدمت الدور بعد أن خلت المدينة من سكانها[3].

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ص323.

[2]-نفسه ، ص323.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 124.

2-3- سقوط جزر البليار:

في سنة 1228م، حينما كان جايم Jaimeيعقد بلاطه في طركونة [1]، وبرفقته جمهرة كبيرة من البارونات والفرسان، تقرر في إحدى المآدب أن تنظم حملة ضد جزيرة ميورقة[2] . وآثار بيدورمارتل Bedoure Martelوهو بحار مجرب من طركونة، أطماع الحضور وغضبهم بما قصه عليهم من غنى الجزيرة وخصبها، وما يقوم به سكانها من آن إلى آخر من سبي النصارى، وما يضمره أميرها للأراجونيين من البغضاء والعداوة.[3]

وكان قد أستدعى الكورتيس القطلونيةCurtis في برشلونة في شهر ديسمبر سنة 1228م، واقترح عليه أن يقوم بحملة عسكرية ضد ميورقة بغية افتتاحها، وذلك لتأمين تجارة قطلونية في البحر المتوسط، فوافق الكورتيسCurtisعلى هذا الاقتراح، ووافق على أن يقوم الملك بتحصيل ضريبة الماشية القرنية للمعاونة في نفقات الحملة، وعرض أكابر الأحبار والرهبان، أن يشتركوا في الحملة بأنفسهم وبمن يحشدونه من الفرسان والجند، كل وفق طاقته[4].

وعرض أكابر الأشراف القطلان، وفي مقدمتهم، نونيو سانشيز Nuneo Sanchezكونت روسيون، وهو جو دي أمبريكس والأخان رامون وجلين دي مونكادا De Moncadaوغيرهم من الأكابر، أن يشتركوا في الحملة، بحشود كبيرة من الفرسان و

---

[1]-**طركونة**: بلدة متصلة بأعمال طرطوشة . (انظر:الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص32).

[2]-يوسف اشباخ، المرجع السابق ، ص 170، 171.

[3]-نفسه ، ص171.

[4]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 404.

الرماة والجند، فقبل الملك هذه العروض، وتعهد من جانبه أن يقدم مائتي فارس من أهل أراجون بخيلهم وسلاحهم، كما تعهد بتقسيم الأراضي المفتوحة، والغنائم المكتسبة بالعدل، والقسطاس، بين المشتركين في الحملة، محتفظا لنفسه بالقصور والسيادة العليا على الحصون والقلاع[1].

وتم كل شيء وفق ما أتفق عليه، وفي اليوم الخامس من سبتمبر سنة 1229م (14 شوال سنة 626ه) خرج الأسطول الأراجوني يحمل قوات ضخمة من ثغور سالو وطركونة وكامبريلس، وكان مؤلفا من مائة وخمس وخمسين سفينة حربية وعدد من القطع الخفيفة، التي يقودها بحارة مغامرون من الجنوبيين وغيرهم. وبلغ عدد المقاتلين ألفا وخمسمائة من الفرسان و خمسة عشر ألفا من المشاة، هذا عدا حشود من المتطوعين من أهل جنوة و بروفانس وغيرهم[2].

وكانت جزيرة ميورقة يومئذ تحت حكم واليها أبي عثمان سعيد بن الحكم بن عمر القرشي وأصله من طبيرة بغرب الأندلس وبها ولد، وكان يحكمها من قبل الأمير أبي جميل زيان بن مدافع[3]. بينما يقول صاحب نفح الطيب: ((... كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيي ابن أبي عمران التينملي...))[4] .

---

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ص404.

[2]-نفسه ، ص404.

[3]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 172.

[4]- المقري، المصدر السابق، ص 469.

وكان قد علم بأمر الحملة التي تهدد الجزيرة منذ البداية فحشد جيشا ضخما، رتبه في الأماكن التي يخشى أن ينزل منها الجيش المهاجم، وبلغ عدد الجند المسلمين يومئذ نحو إثنين وأربعين ألف مقاتل [1]. يقول المقري: ((... ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول ... وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين ... انهزم المسلمون، وارتحل النصارى إلى المدينة ...ولم يزل الأمر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد، ولما رأى ابن سيري [2]أن العدو قد استولى على البلد خرج إلى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا، ولما كان يوم ولما كان يوم الأحد اخذ البلد ... وأخذ الوالي وعذب ...ومات تحت العذاب، وأما ابن يسيري فإنه صعد إلى الجبل... ومازال يقاتل إلى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة 628ه / 1231م...))[3].

وأما جزيرة يابسة، وهي صغرى الجزائر الثلاثة الكبيرة، وهي تقع جنوب غربي ميورقة، فقد نزل بها الأرجونيون في سنة 632ه(1235م)، فقاومهم أهلها المسلمون، واستمر الصراع بين الفريقين نحو خمسة أشهر، وانتهى بتسليم المسلمين، واستيلاء

[1]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 172.

[2]- **ابن سيري** :هو ابو حفص عمر ابن سيري احد كبار الشخصيات الميورقية (انظر رمحمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الاندلسية،ج1،ص385

[3]-المقري، المصدر السابق، ص 470، 471. و للمزيد عن سقوط مدينة ميورقة أنظر: بن عميرة، تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 47-51.

الأرجونيين على الجزيرة، واستولى النصارى في نفس الوقت على جزيرة فرمنتيرا الصغيرة الواقعة على مقربة من جنوبي يابسة و كانت خالية ليس بها أحد من المسلمين[1].

وبالنسبة لجزيرة منرقة فيذكر الحميري بأنها مازالت في يد المسلمين تحت هدنة الطاغية البرشلوني ومصالحته بعد أن جرى على ميورقة ما جرى، وكان عامل ابن يحيى صاحب ميورقة الممتحن بعذاب البرشلوني، بعد استيلائه على ميورقة حتى مات رحمه الله تعالى مقيما بجزيرة منرقة هذه، وهو سعيد بن حكم وقد ضبطها وقام عليها أحسن قيام، وهادن الأعداء؛ وطالت مدته في ذلك و حسنت سيرته إلى أن مات[2].

انصرفت أطماع العدو البرجلوني المجاور لثغره إلى تملكه ، فتم له ذلك و نفذ قدر الله فيه سنة 686ه / 1289. فاستولى على الجزيرة وأجلى عنها المسلمين، ولحق أبو عمر بسبتة[3] و قد رفع إليها رمة أبيه، بعد أن كان نزل المرية [4]، ووصل إلى غرناطة، و أقام بها أياما تحت جراية أميرها[5].

2-4- سقوط قرطبة:

في أوائل سنة 1236م اواخر في ربيع الثاني سنة 633ه خرجت جماعة من الفرسان القشتاليين، وهم من أهل الحدود المغاورين المحترفين، ومعظمهم من منطقة أندوجر

---

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 408.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص 185.

[3]-**سبتة** : هي على بر البربر تقابل الاندلس على طرف الزقاق. (انظر : الحموي ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 182).

[4]-**الميرية**: تقع على الساحل الشرقي للأندلس.(انظر:محمد عبده حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية ، المرجع السابق ،ج1 ،ص 124).

[5]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 276.

الواقعة شرقي قرطبة، وساروا صوب قرطبة، فأشرفوا عليها حينما دخل الليل [1]. وقد علموا من الأسرى المسلمين أن قرطبة قليلة أسباب الدفاع، وأن افتتاحها أمر ميسور، فأد لجت منهم كوكبة صغيرة، يسترها ظلام الليل، ويخفي حركاتها انهمار المطر، حتى بلغوا الضاحية الشرقية من عاصمة المروانيين[2].

وأرشدهم الأسرى الخائنون إلى مواقع التي يصلح منها الصعود إلى السور، فنصبت السلالم، وتسلق الجدران جماعة من الفرسان الأباسل، وكانوا قد استمالوا بعض حراس الأبراج بالمال، فكتموا أمرهم عن الآخرين و أوهموهم عندما سمعوا خفق أقدامهم أنهم سرية آتية للتفتيش، فخدعوهم بذلك، ومكنوا أعدائهم من دخول أحد الأبراج، فامتلكوه و قتلوا حراسه[3].

ثم انحدروا إلى باب قريب ففتحوه لرفاقهم، فتسللوا منه إلى أحياء الضاحية يفتكون بالسكان الأمنين فتكا ذريعا، حتى تنفس الصبح وانتشر الخبر، فثارت الحامية في وجه المغامرين فقاتلتهم حانقة، فطردتهم من الشوارع، وألجأتهم إلى التحصن بالبرج الذي سقط في أيديهم[4].

ورأى النصارى أنهم لا يستطيعون بجمعهم القليل غزو مثل هذه المدينة العظيمة، التي يؤلف سكانها الذكور وحدهم جيشا بأسره، فأرسلوا على عجل رسولا إلى قائد هذه المنطقة

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 418.
[2]-بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 69.
[3]- نفسه ، ص 69.
[4]-نفسه ، ص69.

الفاربيريزFarberiz، وكذلك إلى الملك فرديناند Ferdinand نفسه، راجين إرسال المدد السريع لإتمام فتح قرطبة[1].

وسار الفاربيريز Farberizبجميع جند الحدود ممن استطاع أن يقتطعهم من حاميات الحصون، وأنظم إلى الجند الذين ملكوا القصبة الشرقية، ولكن عددهم لم يكن مع ذلك كافيا للقيام بأعمال ذات شأن، أما فرديناندFerdinandالذي كان يقيم عندئذ في مملكة ليون ، سار في الحال في ثلاثين فارسا فقط، وأصدر الأوامر بأن تتبعه جموع الفرسان بأسرع ما يستطاع، وكذلك فرسان الجماعات الدينية و المدن أخذوا يجتمعون بسرعة وينضمون إلى الجيش[2].

أما أهل قرطبة أنفسهم فقد تولاهم الفزع والروع، وأتجه أملهم الوحيد في النجاة إلى المتوكل محمد بن هود، وأرسلوا إليه الرسل طالبين الإنجاد بأسرع ما يستطاع [3]. و في هذه الأثناء كان ابن هود في طريقه إلى إستجه[4] في قوات كبيرة بلغت خمسة وثلاثين ألف مقاتل ، إضافة إلى مائتي فارس نصراني، لبث القرطبيون ينتظرون مقدم ابن هود الذي بقي في قواته دون تحرك منه يذكر لإنقاذ قرطبة من الخطر المحدق[5].

---

[1]-يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 184.

[2]- نفسه ، ص184.

[3]-نفسه ، ص184.

[4]-**استجة** : بين القبلة و الغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 14).

[5]-وليد بزوجي، المرجع السابق ، ص 144.

لكن إستوزار ابن هود لفارس نصراني منفي، حال دون ذلك إذ عمد هذا الفارس على تقديم خدمة، قد تكون توبة منه لملكه، فحال بتدبير دون نجدة جيش ابن هود للمسلمين المحاصرين في قرطبة[1].

وفيما هو على هذا الحال من الاضطراب جاءه رسول من أبي جميل زيان أمير بلنسية [2]، يستغيثه على جايمJaimeملك أراغون، وكان قد أناخ عليه بقواته، فأثر ابن هود أن يدلف إلى غوث بلنسية لعله ينقذها من الأراغونيين، فيضمها إلى مملكته ويتقوى بها، ثم يرتد إلى قرطبة فيخرج منها القشتاليين[3].

ولكن التقادير جرت بغير ما في الحسبان؛ فإنه ما كاد يبلغ ألمرية حتى اغتيل فمات خنقا، ولم تنج بلنسية من يد ملك أرغون، وتركت قرطبة وحيدة تدافع بشهامة هجمات الأعداء، وتلقى الهلاك باسلة لا تسلم إباءها للخنوع إلى أن خاب أملها من المتوكل، وانقطع عنها رجاء كل نجدة، فعلمت أن المقاومة أصبحت لا تجدي فتيلا، وإنما هي انتحار ليس غير، فاضل أن تفاوض العدو، فعساها تنال منه شروطا شريفة مقبولة[4].

---

[1]– وليد بزوجي، المرجع السابق ، ص144.

[2].**بلنسية** : في شرق الأندلس . (انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص47).

[3]–بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 71.

نفسه ، ص 71.

ارتأى بعض الغلاة ممن صحب الملك القشتالي، أن يقتلوا كل أهلها المسلمين، ولكن الملك القشتالي رأى أن ذلك يدفع المسلمين إلى اليأس فيخربوا المدينة، ويحطموا ذخائرها وثرواتها، كما كان لابن الأحمر دور في قبول التسليم[1].

بيد أنهم لم يحصلوا منه على أكثر من عهد بتأمين النفس والحرية، ولم يسمح لهم بالاحتفاظ بشيء من أملاكهم وأموالهم؛ وفي 23 شوال سنة 633ه الموافق لـــ 29 يونيه سنة 1236م،سقطت قرطبة في يد النصارى بعد أن لبث تحت حكم المسلمين خمسمائة وخمسة وعشرين عاما[2].

وما كاد النصارى يستولون على المدينة حتى وضعوا صليبا فوق مسجدها الجامع، ورفعت راية ملك قشتالة على أبراج ((القصر))، وانتظم موكب في طليعته الكهنة المختلفون وفرسان الجماعات الدينية وجمهرة كبيرة من الفرسان، ودخلوا المسجد الجامع وهم ينشدون أناشيد الحمد والشكر؛ وفي الحال قام يوحنا أسقف أو سمه بتحويل المسجد إلى كنيسة نصرانية، وأقام به القداس، ولما عثر فرديناند Ferdinand بالنواقيس التي انتزعها الحاجب المنصور [3]في ما مضى من كنيسة القديس ياقب ضمن غنائمه، وحملها

---

[1]–وليد بزوجي، المرجع السابق، ص 145.

[2]– يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 186.

[3]-**الحاجب المنصور** : ولد في مدينة تركش 326ه من أحفاد عبد الملك المعا فري تولى الشرطة و عين وزيرا و حاجبا لهشام المؤيد بالله حكم الاندلس 368ه و توفي و هو يستعد للجهاد 392ه.(انظر: طارق السويدان ، المرجع السابق ، ص 217).

الأسرى النصارى على أكتافهم إلى قرطبة، أمر بأن تعاد بالمثل إلى مكانها الأصلي على أكتاف الأسرى المسلمين[1].

ومن الواضح أن سقوط قرطبة، كان نذيرا بخضوع معظم البلاد والحصون القريبة، لسلطان النصارى، ومع أن ملك قشتالة لم يضع يده نهائيا على تلك البلاد و الحصون، إلا أنها خضعت جميعا لطاعته، وتعهدت بأداء الجزية، والسماح بإقامة حاميات نصرانية بها، وكان من هذه البلاد والحصون، إستجه والمدور، وإشتبه، وبيانة [2]، وأجيلار(بلاى) ومرشانة وقبرة وأشونة، واللسانة، وموروز[3] وغيرها[4].

يقول صاحب الأنيس المطرب: ((وفيها أي في سنة 633ه غدر النصارى شرقية قرطبة وذاك في ثالث شوال عشاء في غفلة السحار وسلم الله عز وجل النساء والذراري حتى لحقوا بالغربية، وبقي الناس معهم في قتال عظيم، ولم تزل الغربية محصورة إلى أن أخذت وملكها النصارى أجمع)) [5] . ويذكر فيها أيضا أنه انعقد الصلح بين ملك قشتالة وابن هود لأربعة أعوام بأربعمائة ألف دينار في السنة[6] .

2-5- سقوط بلنسية:

---

[1]-يوسف اشباخ، المرجع السابق، ص186.

[2]**.بيانة**: من اعمال قرطبة وهي من مدن قبرة (انظر: الحميري ، المصدر السابق ،ص59).

[3]**-موروز**: متصلة باحواز قرمونة من جزيرة الأندلس (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص 188).

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 425.

[5]- الفاسي، المصدر السابق، ص 276.

[6]-نفسه، ص276.

عهد البابا جريجوري Gregoriالتاسع إلى تأييد المشروع، وأعلن في جميع أمم الغرب النصرانية، أن الحرب ضد بلنسية هي صليبية، وكان من أثر ذلك أن قدمت فيما بعد جموع من فرنسا وإنكلترا لتشترك في هذه الحملة[1].

رأى ملك أرغونه خايمة الأولJaime أن ينتهز فرصة لجوء السيد أبي زيد إليه فيسير للاستيلاء على بلنسية وحصونها [2]، حيث بدأ حملته عليها في(631ه/1233م) وأثناء زحفه على المدينة تمكنت جيوشه من الاستيلاء على المدن والحصون القريبة منها فسيطروا على بلدة آوش ثم مورلة ثم بريانة ثم بنشكلة [3]، ثم تلتها حصون وأماكن منها شفيت وبريول وكويفاس، والمصورة وسلطونة و قلعة مونكادة و مشروس وقد تمت كل هذه التوسعات(632ه/1234م)[4]

لم يستطع الأمير زيان منع ملك أرغونة من الاستيلاء على هذه الحصون، لكنه خشي أن يستولى الملك على حصن آنيشة المشرف على مرج بلنسية فقام بهدمه لكن ملك أرغونه أدرك معنى هدم الحصن لذلك أصر على احتلال موقعه و سار بقواته ومعه السيد أبو زيد المتنصر فتصدى المسلمون لقتال الملك فحلت بهم الهزيمة وأحتل الملك مكان الحصن وبني عليه حصنا جديدا وضع فيه حامية نصرانية[5].

---

[1]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 175.

[2]-هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص 227.

[3]**بنشكلة**: حصن بالأندلس بالقرب من طركونة (انظر:الحميري ، المصدر السابق، ص56).

[4]-صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 163.

[5]-هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص 227.

أخذت الحامية النصرانية تهاجم المسلمين وتغزو بلنسية فخرج أبو جميل زيان بقواته ومعه أهل بلنسية واشتبك مع الحامية النصرانية في موقعة بالقرب من أنيشة، فانتهت بهزيمة فادحة للمسلمين، فقد استشهد فيها عدد كبير من الفقهاء والعلماء علاوة على ألاف المسلمين وأصبح سقوط بلنسية أمرا مقضيا[1].

يقول صاحب أعمال الأعلام: ((... إلى أن كانت عليه الوقيعة بأنيشة من ظاهر بلنسية، هلك فيها من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله؛ وكلب عليهم عدو الشرق، ويئسوا من نصرة أهل الأندلس وأهل المغرب فتعلقوا ببيعة الأمير أبي زكرياء بتونس، واستصرخوه... ولم يصل جوابه ...والطاغية قد نازل بلنسية... فكانت المراوضة على إسلام البلد، والخروج عنه...وخرج الأمير أبو جميل والشهود وعقد الصلح بعدها على دانية [2]و قلبيرة...))[3].

وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة 636ه / 1239م [4].

وفي اليوم المحدد دخل ملك أراجون ثغر بلنسية في موكب فخم، وفي الحال حول المسجد الجامع على يد أسقف طركونة إلى كنيسة للنصارى؛ وغادر المسلمين المدينة، وهم زهاء خمسين ألف نفس في نحو خمسة أيام [5].وعلى أثر سقوط بلنسية تابع خايمي

---

[1]- هشام أبو رميله، المرجع السابق ، ص227.

[2]**دانية** : مدينة بشرقي الأندلس (انظر:الحميري،المصدر السابق ،ص76).

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 272،273.

[4]-المقري، المصدر السابق، ص 460.

[5]- يوسف أشباح، المرجع السابق، ص 177، 178.

Jaime[1] غزواته لباقي الأراضي الإسلامية القريبة منها، فاستولى على دانية ولقنت وشقر[2].

ثم استولى على شاطبة[3] وأريولة[4] سنة 644ه/1246م، وفي سنة 664ه/1266م استولى على مدينة مرسية[5].

2-6- سقوط اشبيلية:

بعد أن تمكن فردناند الثالث Ferdinand من بسط نفوذه على المناطق المذكورة أخذ يتأهب لضم اشبيلية أعظم قواعد الأندلس، وبدأ بمحاصرة قرمونة[6] إحدى أهم الحصون الأمامية لإشبلية ثم دخلها ومن ثم توجه إلى لورة واستولى عليها ثم زحف على قنطانة الواقعة شمال اشبيلية، وقصد بعد ذلك غلياندة ثم بلدة القلعة وتمكن من إخضاعها جميعا وذلك بمساعدة ابن الأحمر الذي كان له دور فعال في سقوط هذه الحصون في يد النصارى[7] .

---

[1]- **لقنت** : من بلاد الأندلس بينها و بين دانية على الساحل سبعون ميلا (انظر:الحميري، المصدر السابق، .ص170).

[2]-**شقر** : جزيرة بالا ندلس قريبة من شاطبة (انظر:الحميري،المصدر السابق ،ص102).

[3]-**شاطبة** :مدينة في شرقي الأندلس وشرق قرطبة (انظر : الحموي، المصدر السابق، ج3 ،ص309).

[4]**اريولة** : مدينة بشرق الاندلس من ناحية تدمير (انظر: الحموي،المصدر السابق، ج1،ص167).

[5]-صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 163.

[6]**قرمونة** : تقع في شرق اشبيلية (انظر: الحميري،المصدر السابق،.ص158).

[7]-صديقي عبد الجبار ، المرجع السابق، ص161.

وفي سنة 645ه / 1248م ؛ أحدقت النصارى بمدينة اشبيلية وحاصروهم برا وبحرا، وأذاقوا أهلها شرا، وكان نزولهم عليها ووصول جموعهم إليها في شهر جمادى الأولى من العام المذكور[1].

وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر[2]. يقول الحميري: ((... وخافوا وأيئسوا من الإعانة، فأصفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها؛ فكان ذلك، وأجلهم الفنش ريثما يستوفون احتمال ما استطاعوا حمله من أموالهم، ثم خرجوا عنها وأقامت خالية ثلاثة أيام وسرح معهم الطاغية خيلا توصلهم إلى مأمنهم...))[3] .

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر سنة 1248م(أوائل رمضان سنة 647ه) دخل فردناند الثالث Ferdinand III ملك قشتالة، مدينة اشبيلية في موكب فخم، و كان مطران طليطلة قد قام بتحويل الجامع الأعظم إلى كنيسة[4]. واستطاع أن يخضع بالفتح أو بالإرهاب في سنة 1250م(648ه)، شريش، الفرنتيرة، ومدينة شذونة [5] وقلعة الغزال، وبلش، وقادس[6]، وشنت لقر، وثغر شنتمرية، وروطة[7].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 514.

[2]-الناصري، المرجع السابق، ص 253.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص22.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 486، 487.

[5]-**شذونة** : هي كورة متصلة بكورة مورور(انظر:الحميري،المصدر السابق ،ص100).

[6]-**قادس**: جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن اشبيلية (انظر:الحميري، المصدر السابق ، .ص145).

[7] -**روطة**:حصن من أعمال سرقسطة (انظر : الحموي،المصدر السابق، ج3 ، .ص96).

أما قواعد غرب البرتغال كشلب وطبيرة وشنتمرية، فكانت من نصيب التوسعات البرتغالية بقيادة ألفونس الثالث Alfhonso III، ولم تأت سنة (648ه/1250م) حتى كانت جل القواعد الإسلامية الغربية المتاخمة لمملكة البرتغال قد سقطت في أيدي البرتغاليين كما كان الحال مع أورشة و أورسينة[1]

المبحث الثاني: آثار معركة العقاب على بلاد المغرب:

1 ـ 1 ظهور ثورات ودويلات بالمغرب:

وقع في ولاية المستنصر،إخماد ثورة الفاطمي العبيدي، يذكر ابن خلدون أنه خرج بناحية فاس، وتسمى بالمهدي، فبعث السيد أبو إبراهيم أخو المنصور والي فاس إلى شيعته وبذل لهم المال فتقبضوا عليه، وساقوه إليه فقتل [2]. ويقول صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:((... وثار في أيام يوسف هذا بعد مقتل العبيدي رجلان أحدهما ببلاد جزولة من سوس كان يدعى بالفاطمي قتل وجيء برأسه إلى مراكش في شهور سنة 612ه / 1215م ... والآخر من صنهاجة قتل في سنة 618ه/ 1221م بعد أن أثر آثارا قبيحة ...وهزم بعوثا عدة وإستفسد خلقا كثيرا... وكان الذي تولى قتل هذا الرجل ... أبا محمد عبد العزيز بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن عبد المؤمن بن علي وهو يومئذ والي على مدينة سجلماسة وأعمالها...))[3] .

[1]-صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 162.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 337.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 241.

وفي ولاية العادل، فيذكر صاحب الإستقصا أنه خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة وعاثوا في نواحي مراكش، وخربوا بلاد دكالة فخرج إليهم ابن برجان فلم يغني شيئا، فأنفذ إليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر إبراهيم بن إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص فانهزم وقتل، واضطربت الأحوال على العادل؛ وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي إلى قبائلها للحشد ومدافعة هسكورة والعرب؛ فاتفقا أيضا على خلع العادل واضطربت الأمور[1].

وفي عهد المأمون، في سنة 625ه /1228 م ، ثار بجبال غماره محمد بن أبي الطواجين الذي ادعى النبوة وصناعة الكيمياء وكان سببا في مقتل عبد السلام بن مشيش، إلا أن ابن أبي الطواجين سرعان ما اغتاله بعض البربر[2] .

وثار أبو موسى أخو المأمون بسبتة كما حاصرت قبائل فازاز مدينة مكناس فسار المأمون لقتال الفريقين،[3] وفي عهد السعيد، فيذكر صاحب الإستقصا أنه في سنة 642ه / 1245 م أنتفض عليه صاحب سجلماسة عبد الله بن زكريا الهزرجي، فقتله واستولى عليها[4].

---

[1]- الناصري، المرجع السابق، ص 332.

[2]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 290.

[3]-نفسه ، ص290.

[4]- الناصري، المرجع السابق، ص 247.

وفي عهد المرتضى، ثارت سبتة بزعامة أبي القاسم العزفي الذي طرد واليها ابن الشهيد، كما وقعت ثورة بالسوس سنة 651ه / 1254م بتدبير على بن يدر و فشل المرتضى في قمعها[1].

أما بالنسبة للدويلات، فقد انفصلت إفريقية سنة 627ه/1230م، وقد ساعد على قيام دولة الحفصيين بها بعدها عن الحضرة، ثم أن الصراع والثورات والفتن جعلت أهل المدن يتشوقون للاستقرار والأمن فوجدوه مع الحفصيين وبخاصة أن لهم سابقة وفضلا في الدعوة وبناء الدولة الموحدية بالمغرب، وواتتهم الفرصة لما تنكر المأمون للدعوة المهدية وأزال رسومها، فجاء أبو زكريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي إلى تونس وسيطر عليها، و استقل بها، واتبع نظم الموحدين، وكتب للجهات يطلب البيعات[2].

استقل بنو زيان، من بني عبد الواد، في المغرب الأوسط (الجزائر)، أعلن زعيمهم يغمرا سن بن زيان بن ثابت استقلالهم في تلمسان سنة 633ه / 1236م ، استمرت دولتهم حوالي ثلاثة قرون[3].

وفي المغرب الأقصى ظهرت دولة بني مرين، كان زعيمهم ـ يوم بدأت تظهر قوتهم في تأسيس دولتهم في المغرب الأقصى ـ الأمير عبد الحق بن محيو المتوفي سنة 614ه /

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 293.

[2]-عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 109.

[3]-عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 468. وأنظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، مج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 533 وما بعدها.

1217م ، استمرت هذه الدولة حوالي ثلاثة قرون، اتخذوا مدينة فاس عاصمة لهم، ثم تحولوا إلى مدينة مراكش[1].

2-1- سقوط الدولة الموحدية:

لما وقعت كارثة العقاب، وفني معظم الجيوش الموحدية، في شبه الجزيرة الأندلسية، أخذت بوادر التفكك والضعف تبدو على سلطان الموحدين، في معظم العمالات والأطراف، ولم يكن ذلك بخاف على القبائل المتوثبة مثل بني مرين [2]. يذكر صاحب الذخيرة السنية أنهم ينزلون بأنعامهم في السباسب والصحاري من قبلة القيروان، إلى صحراء بلاد السودان، لا يعمرون إلا القفار و لا يؤدون لسلطان بدرهم ولا دينار، ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان، ولا يرضون بذل و لا هوان، ولا يعرفون الحرث ولا التجارات، ولا يشتغلون بغير الصيد و الغارات، جل أموالهم الإبل والخيل[3].

وكانوا يرتحلون إلى الأرياف وأطراف المدن المغربية، في الصيف والربيع للرعي فيها طوال الصيف والربيع، ولجلب الحبوب والأقوات التي يستعينون بها على الحياة في الصحاري المجدبة، فإذا أقبل الشتاء اجتمعوا كلهم ببلدة تسمى **((أكرسيف))**[4]ثم شدوا الرحال إلى مواطنهم في الصحراء[5].

---

[1]- عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق ، ص468.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 336.

[3]- الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص 25.

[4] - **أكرسيف** : مدينة كبيرة لها بساتين كثيرة ،وهي على نهر ملوية (انظر : مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار ،المصدر السابق ، ص 177).

[5]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 647.

إلى سنة 601ه / 1204م فوقعت بينهم وبين بني عبد الوادي وبني واسين حرب بسبب امرأة فافترقوا من تلك السنة، وقصدت مرين نحو المغرب، فنزلوا بالجبل المطل على وادي ملوية وهو الجبل الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد الصحراء، فأقاموا به إلى سنة 610ه / 1213م ، فدخلت طائفة منهم المغرب ليمتاروا على عادتهم[1].

وشكا الناس إلى المنتصر الموحدي، فعزم على محاربتهم، وكان أميرهم في ذلك الوقت أبو محمد عبد الحق بن محيو، وأعد لذلك الغرض جيشا يتألف من عشرين ألف فارس يقودهم أبو علي بن وانودين وأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والي مدينة فاس، والتقى هذا الجيش بجيش بني مرين بوادي نكور في سنة 613ه/1216م، فدارت الدائرة على الموحدين، وامتلأت أيدي بني مرين بالأسلاب والغنائم [2].ثم زحفوا نحو مدينة رباط تازي وانتزعوها من الموحدين[3].

ثم خلف عبد الحق ابنه أبو سعيد عثمان، واستغل عثمان ضعف الموحدين وأخذ يدعوا قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته؛ فبايعه من قبائلهم هوارة، وزكارة و تسول ومكناسة وبطوبة وفشتالة وسدراتة وبهلولة ومديونة، ففرض عليهم الخراج ، ووزع عليهم

[1]- الفاسي، المصدر السابق، ص 25.

[2]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 782.

[3]-سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري، القاهرة، 2004، ص 172.

العمال، وألزم أهل فاس ومكناسة وتازي وقصركتامة بضريبة معلومة يؤدونها إليه، في كل سنة اتقاء لغاراته[1].

وفي عهد معرف بن عبد الحق، اشتبك المرينيون مع جيش الموحدين الذي كان يقوده ((أجر محمد بن واندين)) وانتصروا عليهم بالقرب من مدينة مكناسة غير أن الموحدين بذلوا جهودهم ونشاطهم في محاربة بني مرين فأعدوا لذلك جيشا ضخما مؤلفا من فرسان عرب المشرق والمصامدة وبعض العناصر الرومية والتقى معهم على مقربة من منطقة احواز فاس حيث اوقعوا الهزيمة في صفوف المرينيين وتفرق جيشهم إلى فلول منهزمة في منطقة جبال ((غياثة))[2] .

وتولى إمارة المرينيين بعد مقتل أبي معرف أخوه أبو بكر بن عبد الحق الملقب بأبي يحي، وفي عهده اشتد ساعد بني مرين، وتغلبوا على مكناسة سنة 643ه /1246م ، ثم زحفوا على فاس و استولوا عليها بعد حصار شديد سنة 648ه /1251[3] . ثم تابع فتوحاته بعد ذلك فاستولى على سلا ورباط الفتح سنة 649ه /1252م ، ثم افتتح سجلماسة ودرعه سنة 653ه/ 1256 م ، وأقام بفاس وأتخذها حاضرة لدولته [4]. وفي السنة نفسها هزموا جيش المرتضى دون قتال عند بني بهلول[5].

---

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 783.

[2]- سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص 173.

[3]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 649.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 784.

[5]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص 112.

وفي سنة 659ه/1261م، يهزم المرينيون(بقيادة يعقوب) جيش المرتضى عند أم الرجلين بجهات تامسنا، ويهددون العاصمة نفسها، ثم يحصرونها عام 662ه/1264م، ويدفعهم عنها بمال يدفع لهم كل عام [1]، ولما توفى أبو بكر في سنة 656ه/1258م، خلفه عمه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، وتمكن أخيرا من افتتاح مراكش سنة 668ه/1269م[2].

وكان قتل أبي دبوس وانقطاع دولة الموحدين من المغرب وتملك أمير المسلمين يعقوب دولتهم، ومملكتهم في يوم الأحد الثاني من شهر محرم من سنة ثمان وستين وستمئة، وانقطعت بدولته الدولة الموحدية المؤمنية، ولم يبق لها أثر ولا اسم، وصارت خبرا يذكر والبقاء لله وحده[3].

[1]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق ، ص112.

[2]-عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 784.

[3]-الفاسي، المصدر السابق، ص 117،118. وأنظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس 91- 897ه/710-1492م، ط3، دار النفائس، بيروت، 2010، ص 584.

خاتمة

من خلال معالجتنا لموضوع "موقعة حصن العقاب و دورها في انهيار الدولة الموحدية " يكون قد توصلنا إلى جملة من النتائج على شكل النقاط التالية :

-تميز الوضع السياسي في بلاد المغرب قبيل موقعة العقاب (أواخر القرن 6هـ/12م و أوائل القرن 7ه/13م) بعدم الاستقرار- باستثناء عهد المنصور بطل موقعة الارك-و ذلك لظهور ثورات وفتن في البلاد منها: ثورة أبي قفصه ببلاد السوس، ثورة علودان الغماري، ثورة ابن الفرس، ثورة بن العاضد بجبال ورغه، وثورة الميورقي بإفريقية.

-من أخطر الحركات السياسية التي ظهرت ببلاد المغرب حركة بني غانية بإفريقية ، الذين حاولوا استعادة أمجاد الدولة المرابطية ، ودخلوا في حروب طاحنة مع الموحدين ، هذه الاضطرابات ساهمت بشكل كبير في صرف مجهود حربي استنزف مقدرات الدولة البشرية و العسكرية ، في مجهود كان ينبغي أن يوجه إلى الصراع الحقيقي في الأندلس للدفاع عن الإسلام .

-النشاط الكبير للمماليك الاسبانية النصرانية منذ أوائل القرن (7هـ/13م) واتفاق كلمتهم على مواجهة المسلمين في الأندلس ،هذا مع ما كان بين هذه الممالك من شقاق و خلاف سياسي عميق .

-كانت هزيمة الموحدين في موقعة العقاب بمثابة الطامة على بلاد الأندلس بل و المغرب جميعا ، وذلك لما أسفرته هذه الهزيمة على أفدح وأشنع الآثار ، حيث قضت على سمعة

الموحدين العسكرية في الأندلس و تضعضع سلطان الموحدين بها ، و أخذت الأندلس منذ ذلك الحين تنحدر إلى حالة الفوضى و الصراعات الطاحنة.

-أدى الوضع السياسي الهش في الأندلس في ظل خلافة الموحدين المنهارة إلى ظهور حرب زعامات جديدة على البلاد.

-أدى الانتصار الكبير للنصارى في العقاب إلى تفوقها السياسي و العسكري و فتح الباب واسعا لحروب الاسترداد النصرانية المنظمة و التي كانت بصورة متتابعة، وفي فترات قصيرة سقطت كبريات الحواضر الأندلسية بيد النصارى أمام عجز المسلمين في رد عدوانهم.

-إن الدافع الصليبي كان ظاهرا في معركة العقاب ، حيث أن دعوات البابا و تدخلاته المتكررة و المتعددة لدليل صريح على ذلك.

-بالنسبة للآثار التي خلفتها هزيمة الموحدين في العقاب على بلاد المغرب فهي ظهور ثورات منها : ثورة الفاطمي العبيدي، و ثورة عرب الخلط و هسكوره، وثورة بن أبي الطواجين بجبال غمارة، وثورة ابوموسى اخو المأمون، وثورة أبي القاسم العزفي بسبته.

-من ابرز انعكاسات الانهزام في العقاب هو سقوط الدولة الموحدية ،هذا الحدث مثل نهاية مأساوية لإحدى الإمبراطوريات في بلاد المغرب الإسلامي ويعتبر اخطر حدث عرفته المنطقة.

-أما الانعكاسات التي انجرت عن سقوط الدولة الموحدية فتكمن في قيام كيانات سياسية على أنقاضها ،حيث أنشأ الحفصيون دولة لهم في افريقية ، وكذلك الشأن مع المرينيين الذين أقاموا دولة لهم في المغرب الأقصى عاصمتها فاس ، وأسس الزيانيون دولتهم بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان.

الملاحق

الملحق رقم 01: ([1])

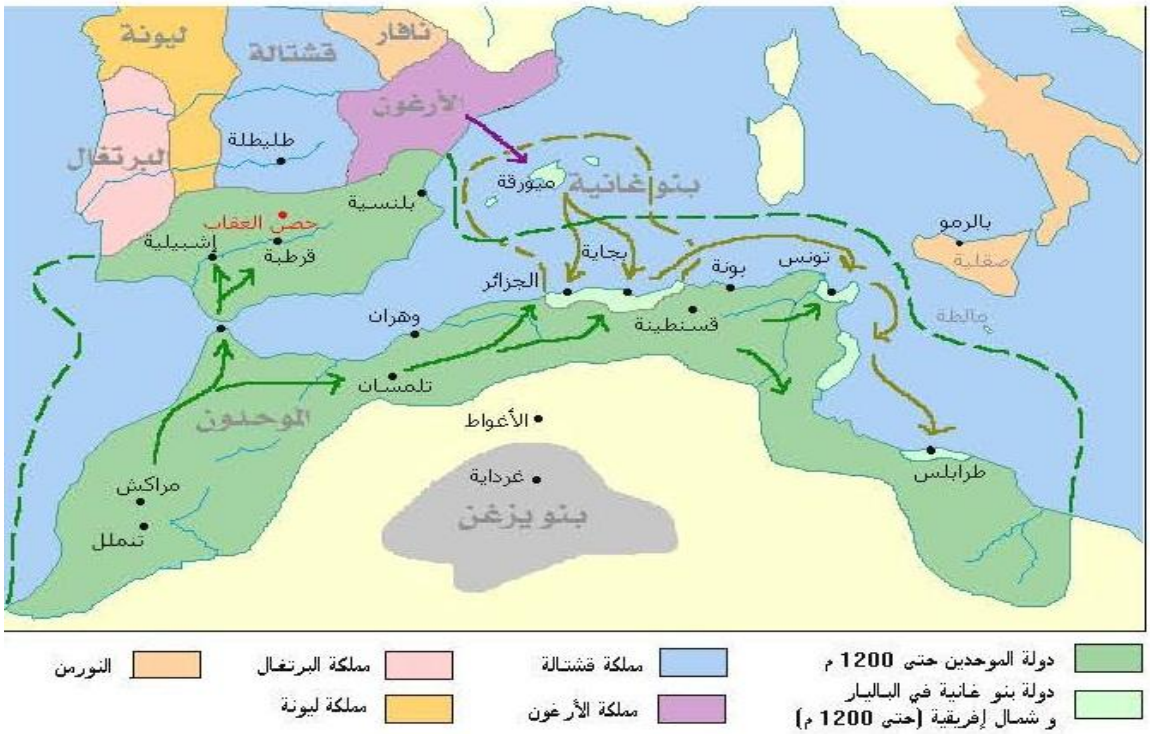

خارطة تبين فصول الصراع بين الموحدين و بني غانية الميورقيين

[1] - عمر راكة ، المرجع السابق ، ص 127.

الملحق رقم 02: [1]

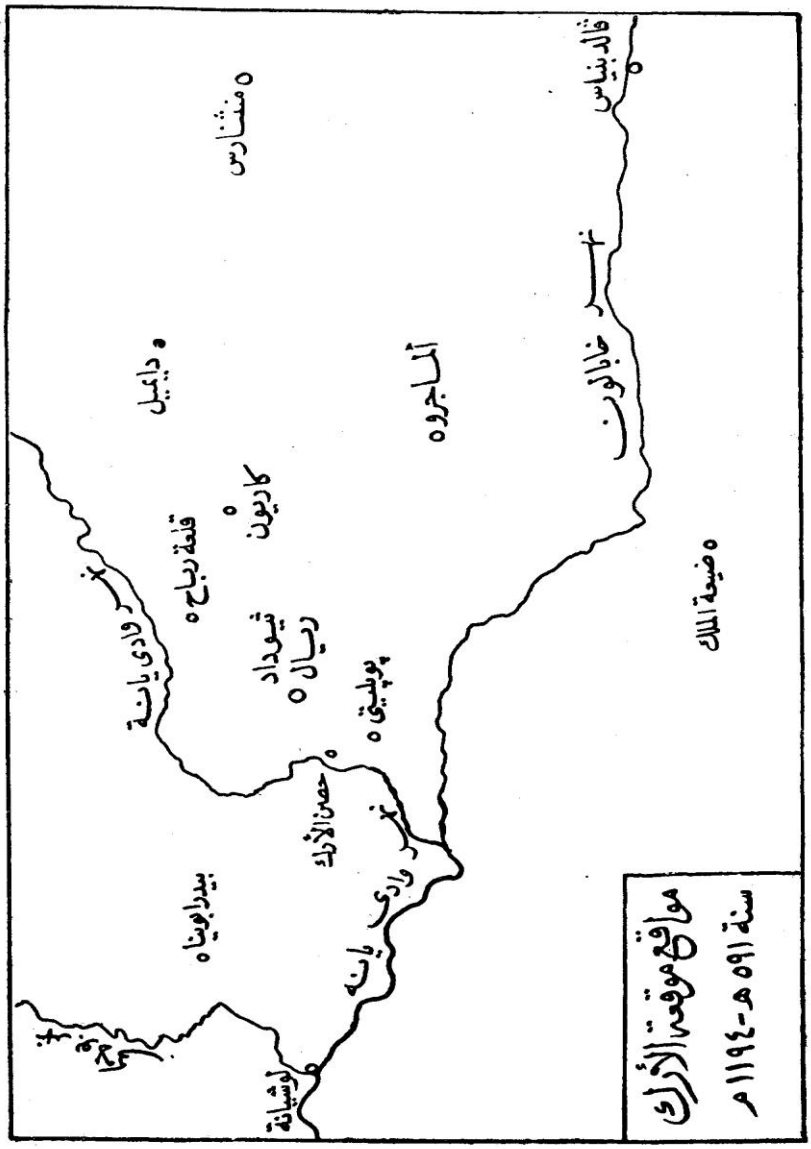

مواقع موقعة الارك سنة 591ه-1194 م

[1] - محمد عبد الله ، المرجع السابق ، ص 201.

الملحق رقم 03:[1]

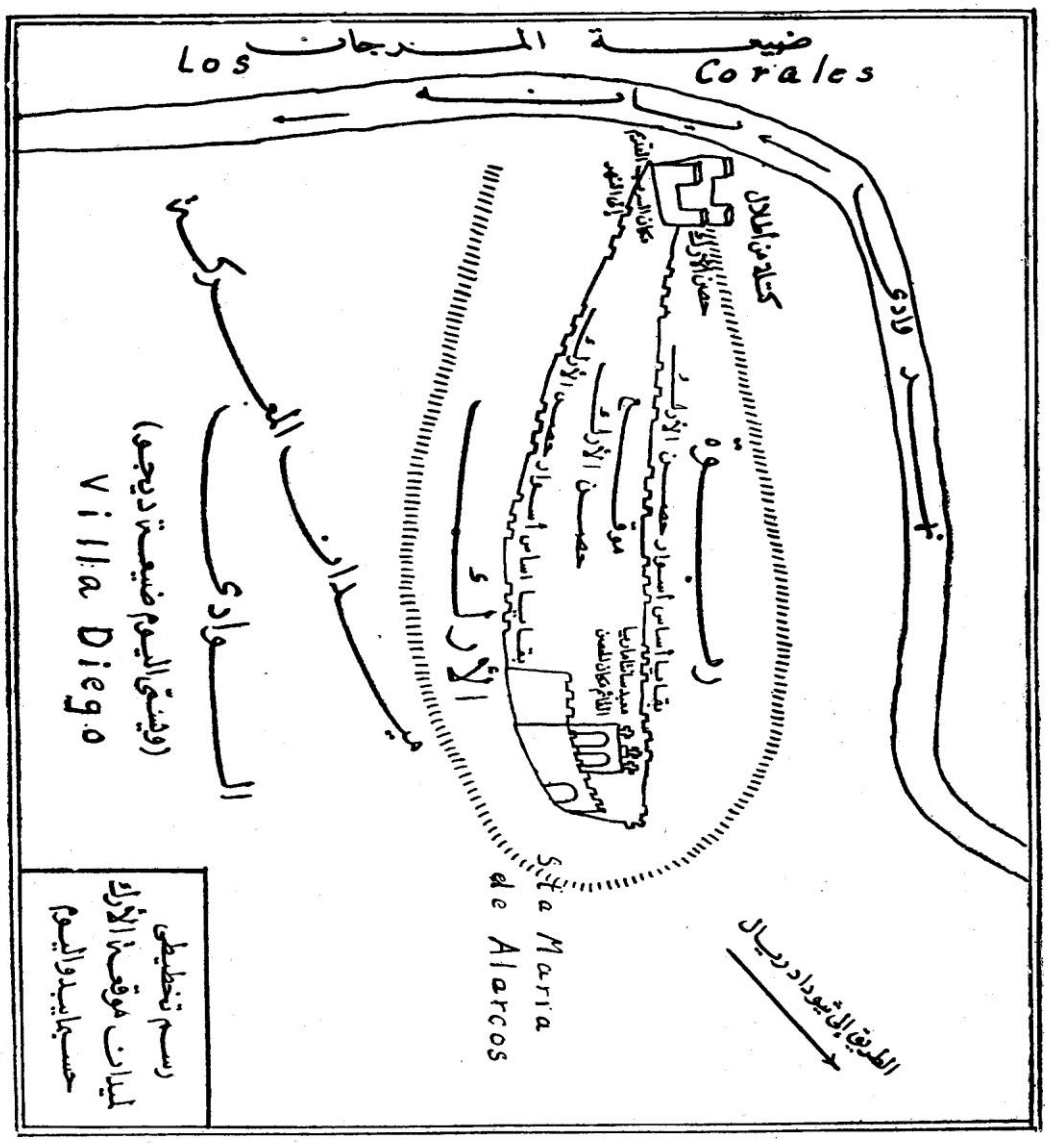

رسم تخطيطي لميدان معركة الارك حسبما يبدواليوم

[1] - محمد الله عنان ،المرجع السابق ، ص205 .

الملحق رقم04 : [1]

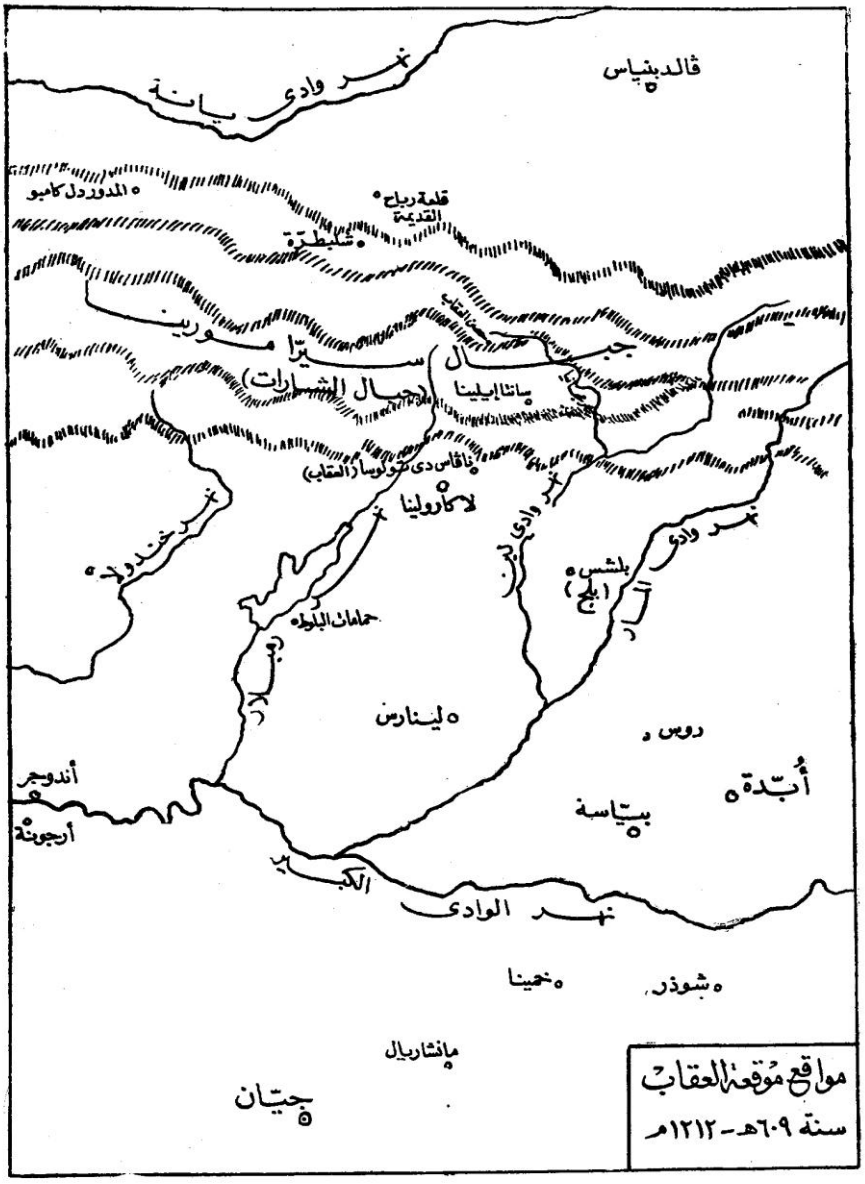

[1] - محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 299.

الملحق رقم (05) : [1]

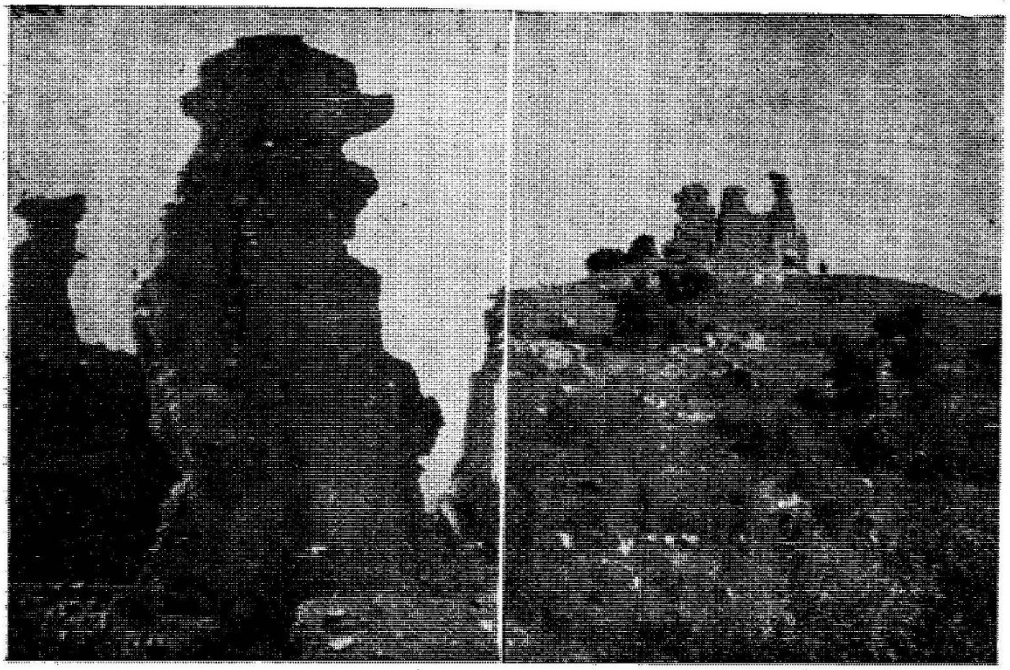

أطلال حصن العقاب كما تبدو عن بعد فوق الجبال

الجدار الأوسط لأطلال حصن للعقاب

الواجهة الخلفية لأطلال حصن العقاب

[1] - محمد عبد الله عنان،المرجع السابق ، ص303 .

الملحق رقم (06) : [1]

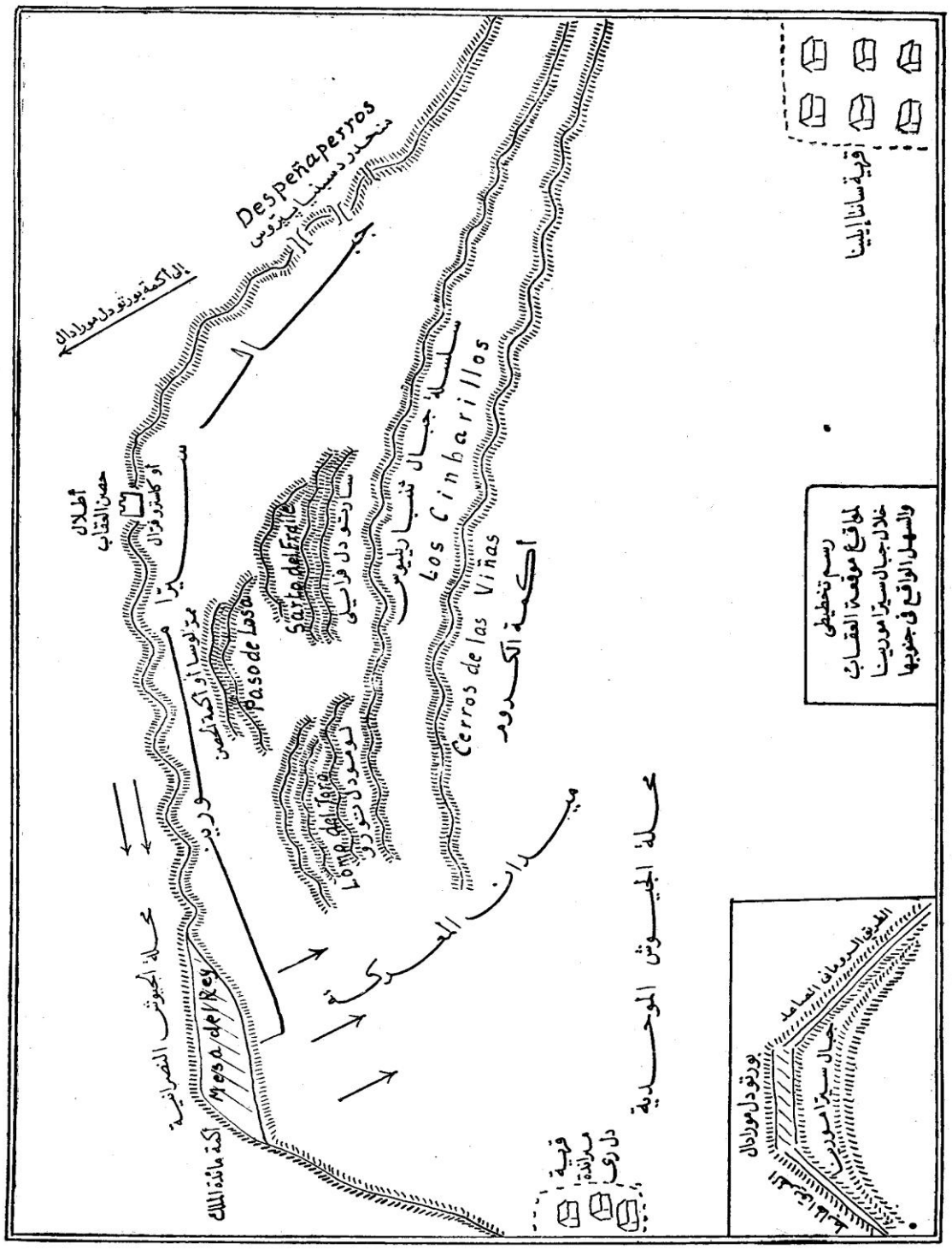

[1] - محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ص 309.

الملحق رقم (07):[1]

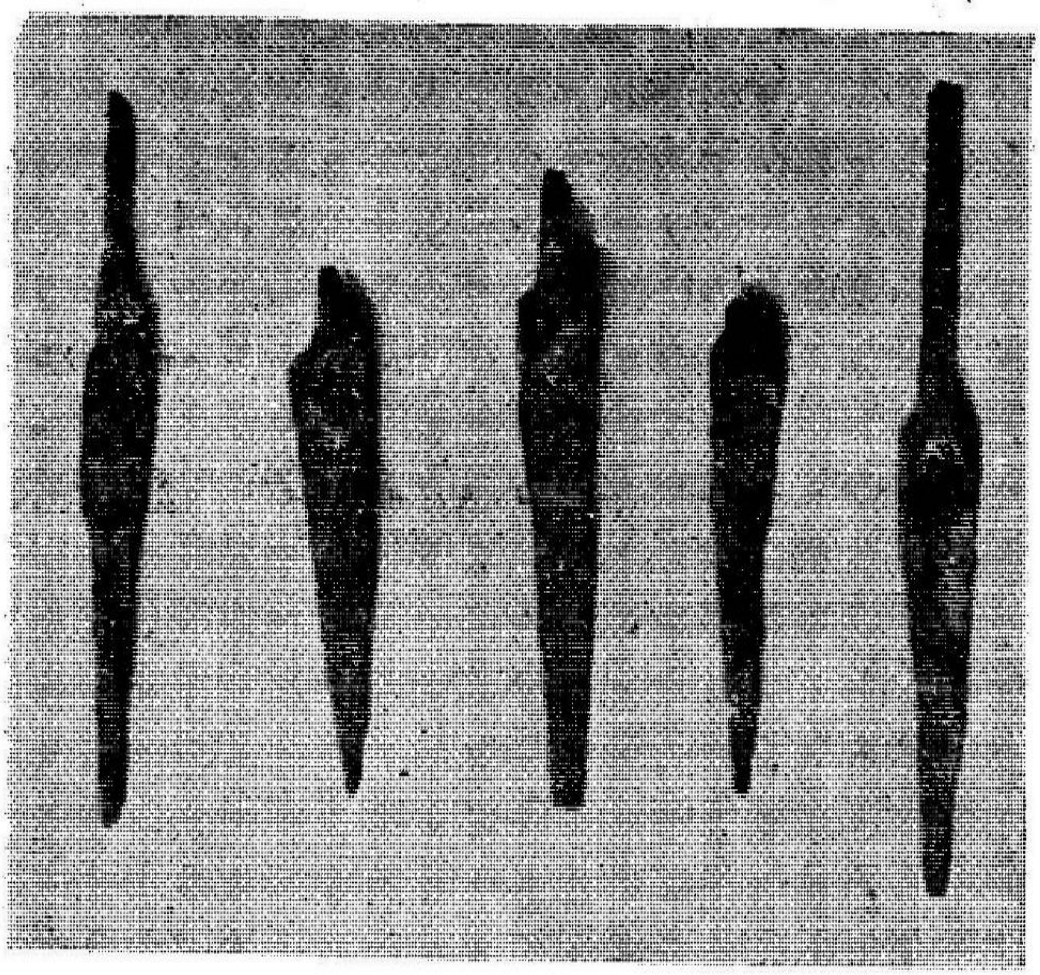

صورة سهام أرضية عثر بها المؤلف في ميدان الموقعة

[1] - محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ص 316.

الملحق رقم (08):[1]

العلم الموحدى الذى غنمه الإسبان فى معركة العقاب ويحفظ الآن بدير برغش الملكى (لاس هويلجاس)

صورة العلم الموحدي الذي غنمه الأسبان

[1] - محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ص 319.

الملحق رقم (09):[1]

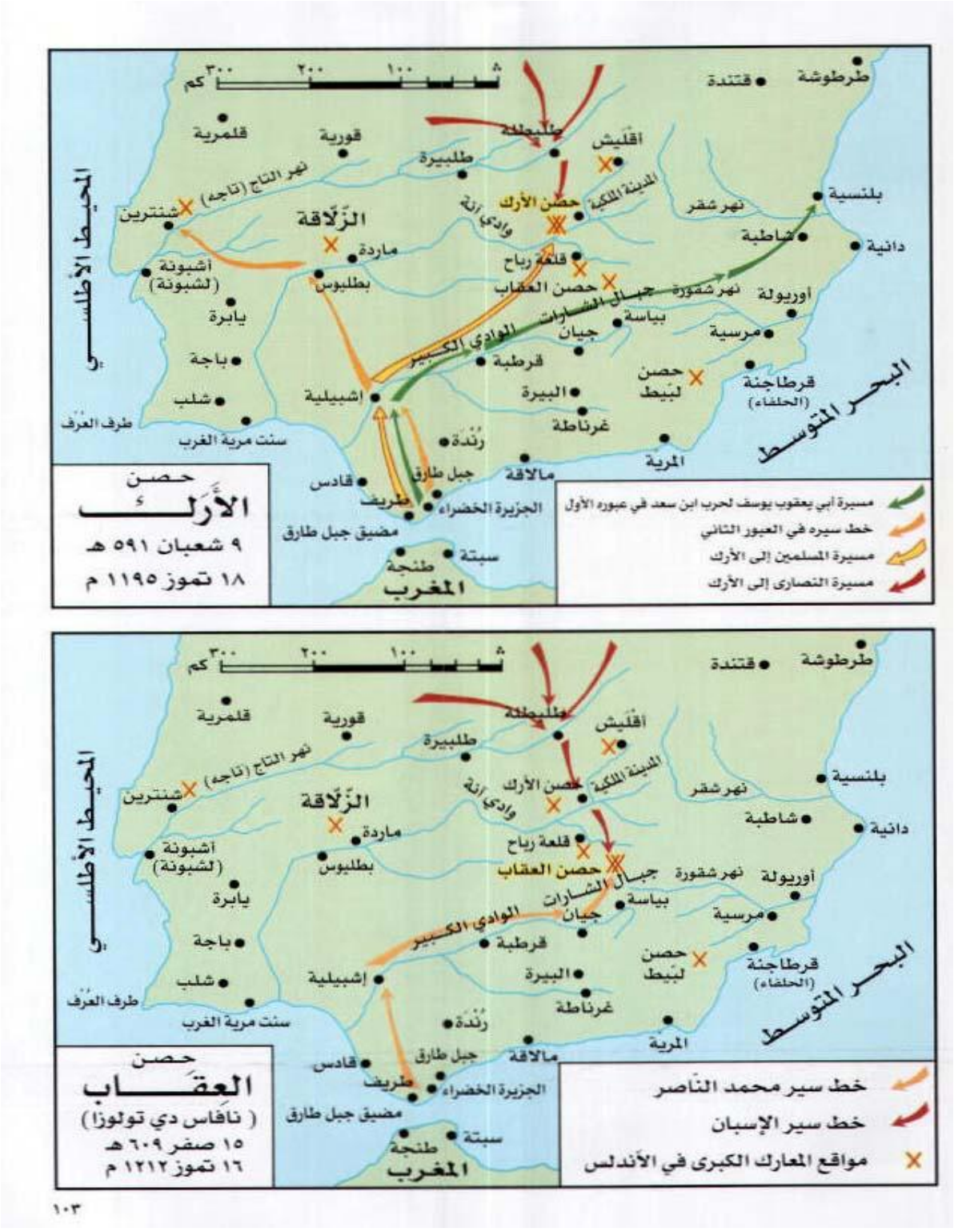

خريطة تبين خط سير الجيش الموحدي والجيش النصراني

[1] - شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر دمشق ، 2005 ، ص 103.

الملحق رقم(10) :[1]

الحدود و العواصم السياسية للدويلات التي قامت بالمغرب بعد سقوط الدولة الموحدية*

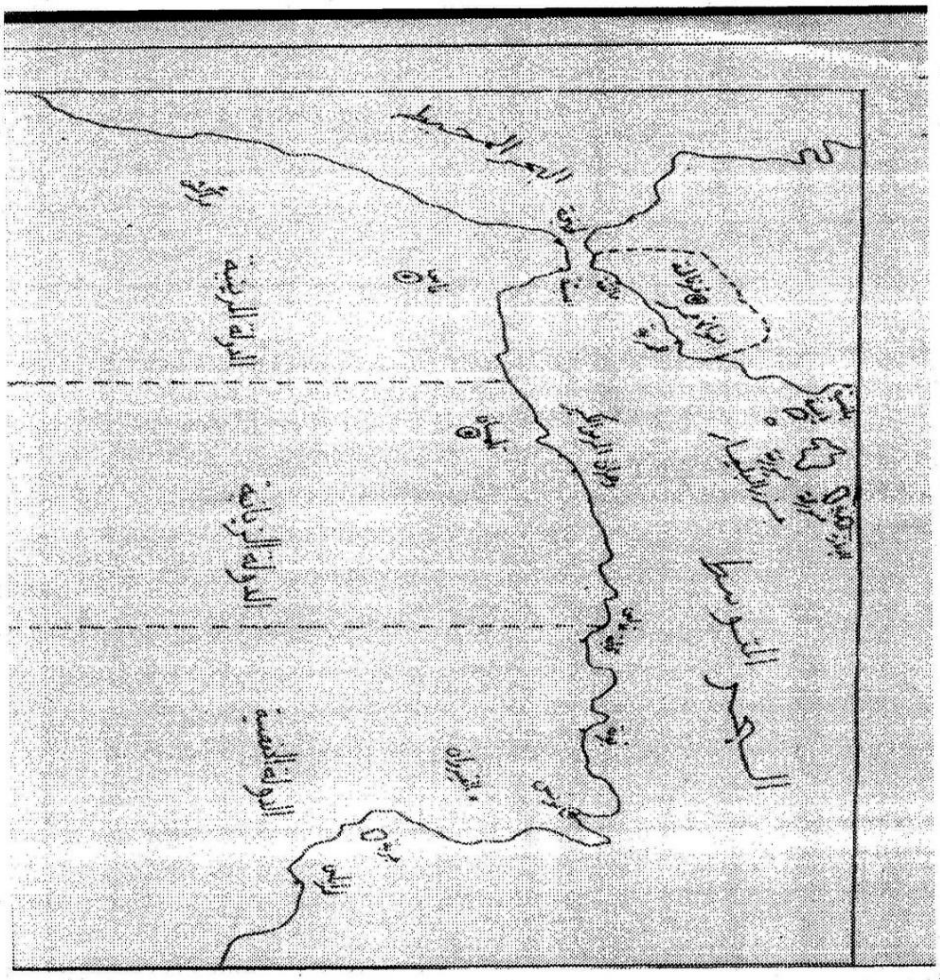

[1] – مريم بو عامر الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزهار الحضاري ما بين القرن 7 و9 هـ/ 13و15 م ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف مبخوت بوداوية ، قسم التاريخ والأثار ، جامعة تلمسان ، 2009 – 2010 م ، ص 138.

الملحق رقم(11) :[1]

قائمة خلفاء الدولة الموحدية

الترتيب	اسم الخليفة	فترة الحكم
01	عبد المؤمن بن علي الكومي	1133-1163
02	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	1163-1184
03	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور	1184-1199
04	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	1199-1213
05	يوسف المستنصر	1213-1224
06	عبد الواحد الواحد المخلوع	1224-1224
07	محمد العادل	1224-1227
08	يحيى المعتصم	1227-1230
09	إدريس المأمون	1227-1232
10	عبد الواحد الرشيد	1232-1242
11	علي السعيد	1242-1248
12	عمر المرتضى	1248-1266
13	إدريس الواثق الدبوس	1266-1269

[1] – عمر راكة ، المرجع السابق ، ص 128.

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر:

- ابن أبي دينار (ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني ت1110ه/1698م):المؤنس في أخبار افريقية و تونس،دط، تونس ،1286م.

-ابن الخطيب (لسان الدين السلماني الغرناطي ت 776ه/1374م):أعمال الاعلام ، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م.

-ابن خلدون(ابو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808ه / 1406م):تاريخ ابن خلدون،تح:خليل شحادة وسهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ،2000 م.

-ابن عميرة(ابي المطرف احمد ت 658ه):تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، دط،دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م.

-الحميري(ابو عبد الله محمد ابن عبد المنعم الصنهاجي ت 727ه/1326م):صفة جزيرة الأندلس ،تح: ليفي بروفنسال،ط2،دار الجيل، بيروت،1988 م.

-الزركشي (محمد بن ابراهيم بن اللؤلؤ ت ق 9ه /15م):تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، دط،المكتبة العتيقة ،تونس،2002 م.

-عبد الواحد المراكشي (ابو محمد بن علي التميمي ت 647ه /1249م):المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، طبع بمدينة ليدن ، مطبعة بريل، 1881م.

-الفاسي (ابن ابي زرع علي بن عبد الله حي سنة 726ه/1326م):

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس ،دط،دار المنصور، الرباط ،1972م.

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،دط،دت .

-المقري (احمد بن محمد ت 1041ه/1631م):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر،بيروت،1968م.

-مؤلف مجهول :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تح:سهيل زكار وعبد القادر زمامه،دط،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،1979م.

-النويري(شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي ت 733ه/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:عبد المجيد ترجيني ، دار الكتب العلمية،بيروت،دت.

- الغرناطي ابو القاسم محمد بن احمد ت 760ه):رفع الحجب المستورة، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1344هـ.

-ابن الأثير (عز الدين ابي الحسن الجزري ت 630ه/1232م): الكامل في التاريخ ،تح:عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت،2012م .

-اليافعي (ابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت 768ه/1366م):مرآة الجنان وعبرة اليقظان وح:خليل المنصور،دارالكتب العلمية،بيروت،1997م .

-ابن عذاري (ابو العباس احمد بن محمد ت بعد سنة 712ه):البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس و المغرب ، تح : بشار عواد معروف و محمود بشار عواد ،، ط1 ،دار الغرب الاسلامي ، تونس ،2013 .

- الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت 626ه /1228م):معجم البلدان دط دار صادر بيروت 1977 م .

-ابن الابار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658ه /1260م): التكملة لكتاب الصلة ، تح :بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، 2011 م

-المقدسي (شمس الدين ابي عبد الله محمد ت 390ه /1000م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم تح : شاكر لعيبي ،ط1 ،دار السويدي ، ابو ظبي ، 2003 م .

- مؤلف مجهول (ت 6 ه/12م): الاستبصار في عجائب الامصار ، تح : سعد زغلول عبد الحميد ،دط،دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ،دت .

-التجاني (ابو محمد عبد الله بن احمد ت 717ه /1318م): رحلة التجاني تق : حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981م .

ثانيا : المراجع :

-الناصري (ابو العباس احمد بن خالد السلاوي ت 1315ه/ 1897م):الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولتان المرابطية و الموحدية)، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،1997 م.

- سالم عبد العزيز ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ،دط،مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية،1999م.

- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، دط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000 م.

-أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ،دط، دار الفكر، دمشق ، 2005م.

-عزاوي احمد ، رسائل موحدية مجموعة جديدة، ر 2، ط1 ،جامعة ابن طفيل ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،القنيطرة ،2001م.

- البستاني بطرس ، معارك العرب في الأندلس، دط،هنداوي ، القاهرة ، 2012 م.

-السرجاني راغب ،قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، ط 1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2010م .

-علي الحجي عبد الرحمان ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897 هـ(711-1492م)، ط2، دار القلم ، دمشق ، بيروت،1981 م .

-الاشترصالح ،معركة الارك 591هـ/1195م ، دار الشرق العربي،بيروت،1998م .

-حسن حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ط 14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1996 م .

-أحمد موسى عز الدين عمر ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983 م .

-مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد،القاهرة،1997 م .

-عبد محمد سوادي وعمار الحاج صالح ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري، القاهرة، 2004 م .

-السويدان طارق ، الأندلس التاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 2005 م .

-ابورميله هشام ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس،دار الفرقان،عمان،1984 م .

-طقوش محمد سهيل ، تاريخ المسلمين في الأندلس 91- 897ه/710-1492م، ط3، دار النفائس، بيروت، 2010 م.

-الصلابي علي محمد ، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الإفريقي، ط 3، دار المعرفة ، بيروت ، 2009 م .

-عنان محمد عبد الله :

دولة الإسلام في الأندلس،العصر الثالث عصر الرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ،ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1990 م .

الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ط2 مكتبة الخانجي القاهرة 1997 م .

-حتاملة محمد عبده :

الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عمان- الأردن، 2000م .

موسوعة الديار الاندلسية عمان 1999م.

-الجنباز محمد منير ، معارك إسلامية خالدة من بدر حتى غرو زني، ط 2، مكتبة التوبة، الرياض، 2008 م .

-مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م .

-أبا الخيل محمد بن إبراهيم ،جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين و الموحدين،دار أصداء المجتمع ، السعودية ، 1998 م .

-أشباخ يوسف ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر:محمد عبد الله عنان ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1996 م .

-العسلي بسام ، الايام الحاسمة في الحروب الصليبية ، دار النفائس ،دت .

-ارسلان شكيب ، الحلل السندسية في الاخبار و الاثار الاندلسية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .

ثالثا : الرسائل والاطروحات:

-بوعامر مريم ،الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و9 ه/13 و 15 م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف مبخوت بودواية ، قسم التاريخ والأثار ، جامعة تلمسان ، 2009 – 2010 م .

-ربح بوقره ، الصراع الموحدي النصراني في الأندلس(541ه-609ه/1146م-1212م) ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماست ر في تاريخ القرون الوسطى، إشراف عبد العزيز شاكي، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017-2018 م .

-عبد الجبار صديقي ، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014م.

-سيدي محمد عمارة ، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7ه/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران- السانيا- ، 2012- 2013م .

-راكةعمر ، علاقات الدولة الموحدية بالامارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010- 2011 م .

-بزوجي وليد ، دولة الموحدين بعد موقعة العقاب دراسة في التراجع الحضاري في الغرب الإسلامي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف محمد الأمين بلغيث، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2014-2015م.

رابعا : الموسوعات ،والمجلات ، والدوريات

-بوحدايد حمزة ، معركة العقاب 609ه/ 1212م ماوراء أسباب الهزيمة ، 04 اذار/ مارس 2016 م .

-السريلعي فاضل ،يوم الأرك، مجلة المناهل ، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ،المغرب ، العدد 17 ، 1980م.

-زبيب نجيب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تق: أحمد ابن سوده، دار الأمير، بيروت، 1995 م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنـــــــــــوان	الصفحة
شكر وعرفان	/
مقدمة	أ-د
مدخل :أهم الأوضاع السياسة قبيل موقعة العقاب	
1- موقعة الآرك	**7**
2- مواجهة الناصر للثورات والفتن	**12**
3-توحد الممالك النصرانية ضد المسلمين	**14**
الفصل الأول : حيثيات موقعة العقاب	
المبحث الأول :التعبئة والسير نحو الموقعة	18
المبحث الثاني : وقائع الموقعة	28
المبحث الثالث : نتائج الموقعة	34
الفصل الثاني أثار موقعة العقاب	
المبحث الأول: آثار موقعة العقاب على الأندلس	41
1-1-نهاية سلطة الموحدين وظهور زعامات انفصالية بالأندلس	41
1-2-حركة أبي جميل زيان	**42**

1-3-حركة ابن الأحمر	42
1-4-حركة ابن هود	43
2-1- تسارع حركة الاسترداد وسقوط كبريات المدن والحواضر الأندلسية	45
2-2-سقوط بياسة وآبدة	45
2-3- سقوط جزر البليار	46
2-4- سقوط قرطبة	49
2-5- سقوط بلنسية	53
2-6-سقوط اشبيلية	55
المبحث الثاني: آثار موقعة العقاب على بلاد المغرب	57
1-1- ظهور ثورات ودويلات بالمغرب	57
2-1- سقوط الدولة الموحدية	59
خاتمة	63
الملاحق	66
قائمة المصادر والمراجع	78